

السيد سابق

الحقائق الإسلامية

الفتح للإعلام العربي

القاهرة

الحقائِدُ الإسلاميّة

اسم الكتاب: العقائد الإسلامية
عدد الأجزاء: ١ مجلد
المقاس: ٢٤ × ١٧ سم
المطبعة: المختار - القاهرة

الطبعة الحاشرة

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للدار
الفتح للإعلام العربي - القاهرة ويحظر طبع أو تصوير
أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو
تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على
الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا
بموافقة الناشر خطياً .

دار الفتح للإعلام العربي

طباعة * نشر * توزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة

العنوان: ٣٢ ش الفلكي - باب اللوق

ت: ٣٥٥١٠٧٣ فاكس: ٢٦٠٦٦٧٥

جميع المراسلات / محمد السيد سابق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(صدق الله العظيم).

المقدمة

* الإسلام إيمان وعمل .

* مفهوم الإيمان .

* وحدة العقيدة .

* لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة ؟

* منهج الرسل فى الدعوة إلى الإيمان .

* الإنحراف عن منهج الرسل وأثره .

* ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان .

□ الإسلام إيمان وعمل :

الإسلام هو دين الله الذى أوحاه إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهو إيمان وعمل :

● والإيمان يمثل العقيدة، والأصول التى تقوم عليها شرائع الإسلام، وعنها تنبثق فروعها.

● والعمل يمثل الشريعة، والفروع التى تعتبر للإيمان والعقيدة.

والإيمان والعمل، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار، أو ارتباط المسببات بالأسباب، والنتائج بالمقدمات.

ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتى العمل مقترناً بالإيمان فى أكثر آيات القرآن الكريم.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ﴾ (٣)

□ مفهوم الإيمان أو العقيدة : (٥)

ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور:

أولاً: المعرفة بالله، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمتة فى الكون والطبيعة.

(١) سورة البقرة آية ٢٥ . (٢) سورة النحل آية ٩٦ .

(٣) سورة مريم آية : ٩٦ .

(٥) العقيدة هى التصديق بالشئ والجزم به دون شك أو ريب . فهى بمعنى الإيمان . يقال : أعتقد كذا أى آمن به . والإيمان بمعنى التصديق . يقال : آمن بالشئ أى صدق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه .

ثانياً : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور، وما فيه من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة ، وقوى الشر التي تتمثل في إبليس وجنوده من الشياطين، والمعرفة بما في هذا العالم أيضاً من جن وأرواح .

ثالثاً : المعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح .

رابعاً : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى ، وقادة الخلق إلى الحق .

خامساً : المعرفة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب وجنة ونار .

سادساً : المعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير .

□ وحدة العقيدة :

وهذا المفهوم للإيمان ، هو العقيدة التي أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله ، وجعلها وصيته في الأولين والآخرين .

فهى عقيدة واحدة ، لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقسام .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٤)

وما شرعه الله لنا من الدين ، ووصانا به كما وصى رسله السابقين — هو أصول العقائد وقواعد الإيمان ، لافروع الدين ، ولا شرائعه العملية ؛ فإن لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها ، وأحوالها ، ومستواها الفكرى والروحى .

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٥) .

□ لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة...؟

وإنما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر، وخالدة على الدهر؛ لما لها من الأثر البين، والنفع الظاهر فى حياة الأفراد والجماعات .

(٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٤) سورة الشورى آية ١٣ .

● فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة، وتوقظ حواس الخير، وتربى ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرفها، وتنأى بالمرء عن مُحَقَّرَات الأعمال وسَفَسَافِها.

● والمعرفة بالملائكة: تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير. كما تدعو إلى الوعى الكامل واليقظة التامة. فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة.

● والمعرفة بالكتب الإلهية: إنما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للإنسان كى يَصِلَ بالسير عليه إلى كماله المادى والأدىبى.

● والمعرفة بالرسول: إنما يقصد بها ترسم خطاهم، والتخلق بأخلاقهم، والتأسى بهم، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة، والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس.

● والمعرفة باليوم الآخر: هى أقوى باعث على فعل الخير، وترك الشر.

● والمعرفة بالقدر: تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب، وتصغر دونها الأحداث الجسام.

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك، وتركية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى — فضلاً عن أنها حقائق ثابتة. وهى تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق.

وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية.

حيث إن للدين سلطانا على القلوب والنفوس، وتأثيراً على المشاعر والأحاسيس، ولا يكاد يدانيه فى سلطانه وتأثيره شىء آخر من الوسائل التى ابتكرها العلماء، والحكماء، ورجال التربية.

فغرس العقيدة فى النفوس، هو أمثل طريقة لإيجاد عتاصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا فى الحياة، وتُسهِمَ بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد.

إذ أن هذا اللون من التربية يُضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال، ويظللها بظلال المحبة والسلام.

ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة، وانقطع النزاع، وحل الوفاق محل الشقاق، وتقارب الناس، وتآلفوا، وسعى الفرد لخير الجماعة، وحرصت الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده.

ومن ثمَّ تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عاماً خالداً، وفي أن الله لم يُخلِ جيلاً من الأجيال، ولا أمة من الأمم، من رسول يدعو إلى هذا الإيمان وتعميق جذور هذه العقيدة.

وكثيراً ما كانت تأتي هذه الدعوة بعد فساد الضمير الإنساني، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا، ويظهر أن الإنسان أشد ما يكون حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة؛ ليصلح لعمارة الأرض، وليقوى على حل أمانة الحياة.

إن هذه العقيدة هي الروح لكل فرد، بها يحيا الحياة الطيبة، وبفقدها يموت الموت الروحي، وهي النور الذي إذا عمى عنه الإنسان، ضل في مسارب الحياة، وتاه في أودية الضلال.

﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (٦).

إن العقيدة مصدر العواطف النبيلة، ومغرس المشاعر الطيبة، ومنبت الأحاسيس الشريفة؛ فإما من فضيلة إلا تصدر عنها، وإلا صالحة إلا ترد إليها.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات، إنما يذكر العقيدة في طليعة أعمال البر كأصلٍ تنفرد عنه، وكأساس تقوم عليه. يقول الله سبحانه:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

(٦) سورة الأنعام آية: ١٢٢.

الصَّلَاةَ وَعَاقِي الرِّزْقَةَ وَالْمَوْفُوتَ بِعَهْدِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا^ط وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ^ط أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧﴾.

□ منهج الرسل في غرس هذه العقيدة :

وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة، عرضاً كله السهولة والبساطة
والمنطق. فَتَلَفَّتْ أَنْظَارَهُمْ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَتَوَقَّظَ عَقُولَهُمْ إِلَى
التفكير في آيات الله. وَتُبِّئَهُ فِطْرَهُمْ إِلَى مَا عَرَسَ فِيهَا مِنْ شُعُورِ الْبَاتِنِ،
وإحساس بعالم وراء هذا العالم المادى.

وعلى هذه السنن مضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يفرس هذه العقيدة
في نفوس أمته لاقيماً الأنتظار. وموجِّها الأفكار. وموقظاً العقول، ومُتَّبِهاً الفِطْرَ.
ومُتَّهِّداً هذا الغراس بالتربية والتثنية حتى تبلغ الغاية من النجاح، واستطاع أن
ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد. ويملاً قلوبها بالإيمان واليقين.
كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وأن يخلق
جيلاً يَتَقَرَّرُ بِالْإِيمَانِ. ويعتصم بالحق. فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية
للناس !.

وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز، فقال :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٨).

ولقد بلغ الإيمان ببعض هؤلاء الصحابة إلى درجة قال فيها : لو كُشِفَ عَنِّي
الحجابُ لَمَا ازْدَدْتُ يَقِيناً.

وفي حديث الحارث بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ما يعطينا الصورة
المشرقة لهذا الإيمان.

فقد مر حارثة برسول الله صلوات الله عليه فقال له الرسول :
كيف أصبحت يا حارثة ؟

(٨) سورة آل عمران آية : ١١٠.

(٧) سورة البقرة آية : ١٧٧.

قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : انظر ماذا تقول . فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

قال : عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا . فَأَشْهَرْتُ لَيْلِي . وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي . وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً . وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يَتَضَاعَوْنَ (١) فيها .

فقال : عَرَفْتُ يَا حَارِثَةَ فَالزَّمْ (١٠) .

□ الانحراف عن منهج الرسل وأثره :

ومنذ قامت دولة التوحيد على يدي خاتم أنبياء الله ورسله ، بقيت العقيدة تستمد قدسيها من وحى الله وتعاليم السماء ، وتعتمد أول ما تعتمد على الكتاب والسنة ، وتتجذّر في الدرجة الأولى إلى تربية الملكات ، وإعلاء الغرائز وتهذيب السلوك ، كى ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته ، وتجعل منه قوة إيجابية في الحياة .

ثم كانت الخلافات السياسية ، والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى . وتحكيم العقل فيما لا قدرة له عليه — سبباً في العدول ، عن منهج الأنبياء . كما كانت سبباً في تحول الإيمان من بساطته وإيجابيته وسموه إلى قضايا فلسفية ، وأقيسة منطقية ، ومناقشات كلامية ، أقرب ما تكون إلى المناقشات البيزنطية .

ولم يُعَدِّد الإيمان هو الإيمان الذي تزكو به النفس ، أو يصلح به العمل ، أو ينهض به الفرد ، أو تحيا به الأمة .

ولقد كان من أثر الخلافات السياسية ، والعدول عن نهج الفطرة ، والتأثر بالمذاهب الطارئة ، وتحكيم العقل — أن انقسم حملة العقيدة إلى مدارس مختلفة ، كل مدرسة منها تُمَثِّلُ لونها معيناً من التفكير . وَتَسْتَأْثِرُ هي وحدها بالحق دون غيرها في زعمها ، ومن لم يدخل في دائرة تعاليمها يُعَدُّ في نظرها خارجاً عن الإسلام :

فدرسة لأهل الحديث ، ومدرسة للأشاعرة ، ومدرسة للماتريدية ، ومدرسة للمعتزلة ،

(٩) يتضاغون : يصرخون .

(١٠) رواه الطبراني بسند ضعيف .

ومدرسة للشيعة، ومدرسة للجهمية — إلى آخر هذه المدارس المختلفة المتعددة المذاهب والمتنوعة الآراء:

وَكُلٌّ يَدْعَى وَضُلًّا يَلِيْلِي وِلَيْلِي لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَ
إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي جَفُونِ تَبَيَّنَ مِنْ بَكْيِ مِمَّنْ تَبَاكَ
وأشهر الخلافات التي وسَّعتِ الهُوَّةَ بين الأمة الواحدة، هو ما وقع من خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة .

وكان أهم الموضوعات التي ثار حولها الخلاف هي ما يأتي :

- (١) هل الإيمان تصديق فقط ، أو هو تصديق وعمل ؟
 - (٢) هل صفات الله الذاتية ثابتة ، أو منفية عنه ؟
 - (٣) هل الإنسان مُسَيَّرٌ ، أو مُخَيَّرٌ ... ؟
 - (٤) هل يجب على الله فعل الصلاح أو الأصلاح ، أو لا يجب ؟
 - (٥) هل الحسن والقبح يعرفان بالعقل أو الشرع ؟
 - (٦) هل يجب على الله أن يثيب الطائع ، ويعذب العاصي أو لا يجب ذلك ؟
 - (٧) هل يرى الله في الآخرة . أو أن ذلك مستحيل ؟
 - (٨) ما حكم مرتكب الكبيرة التي لم يتب منها حتى مات ؟
- إلى آخر هذه المسائل التي كانت مثار فرقة بين المسلمين . والتي مزقت الأمة شيعاً وأحزاباً .

ولقد كان من نتائج هذا التنازع ، ومن آثار هذا الانقسام أن جنى المسلمون على أنفسهم جنایات خطيرة : فتزعزعت العقيدة في النفوس ، واهتز الإيمان في القلوب ، فلم يعد للعقيدة السيطرة على سلوك الأفراد ولم يبق للإيمان السلطان على تصرفاتهم .

وتبعَ ضعفَ العقيدة الضعْفُ العام في الفرد ، وفي الأسرة ، وفي المجتمع ، وفي الدولة ، وفي كل جانب من جوانب الحياة ، وأخذ هذا الضعف يدبُّ في كل ناحية ، حتى أصبحت الأمة عاجزة عن النهوض بتبعاتها ، والاضطلاع بمسئولياتها داخلياً وخارجياً ، ولم تبقَ الأمة كما أرادها الله أن تكون — صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب .

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى، هو ضعف العقيدة كان من الضروري — ونحن نعمل على إعادة مجد أمتنا — أن نسعى جاهدين في غرس العقيدة في نفوسنا، وأن نترسم الخطة التي رسمها الرسول ﷺ في تعهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القوة، وتصل إلى النهاية من اليقين الذي يدفعنا إلى مجد الحياة، ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف.

وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة من المحاولات التي تبرز العقيدة، وتوضح أثرها في النفس وفي الحياة.

وقد اعتمدنا في ذلك على المصدر الأساسي للإسلام من كتاب الله وسنة رسوله.

وأملنا في الله عظيم، ورجاؤنا كبير في أن تلقى هذه الدراسات من الترحيب والقبول ما يُمكن لها حتى تكون لنا العقيدة التي نسود بها في الدنيا، ونسعد بها في الآخرة. والله الموفق وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

معرفة الله

- * وسيلة المعرفة.
- * المعرفة عن طريق العقل.
- * التقليد حجاب العقل.
- * ميادين التفكير وغايته.
- * المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات.
- * إسم الله العظيم .

إن معرفة الله، هي أسمى المعارف وأجلها، وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها.

فإنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم، وصفاتهم، والحاجة إلى رسالاتهم، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية، والكرامة، والكتب السماوية.

وعنها تشعبت المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة: من الملائكة والجن والروح.

وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة، وما تنتهي إليه من الحياة البرزخية، والحياة الأخروية: من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار.

□ وسيلة المعرفة:

وللمعرفة بالله وسيلتان:

إحداهما: العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء.

وثانيها: معرفة أسماء الله وصفاته.

فبالعقل من جانب، وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر، يعرف الإنسان ربه، ويبتدى إليه.

وَلْتَلُقْ ضُوعًا عَلَى كُلِّ وَسِيلَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْوَسِيلَتَيْنِ:

□ المعرفة عن طريق العقل:

إن لكل عضو وظيفة، ووظيفة العقل، هي التأمل والنظر والتفكير، وإذا تعطلت هذه القوى بطل عمل العقل، وعطل من أهم وظائفه، وتبع ذلك توقف نشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء. والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقائه، ويفيق من سباته، فدعا إلى النظر والتفكير، وعد ذلك من جوهر العبادة.

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرْدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُوا ﴾ (٢)

(٢) سورة سبأ آية: ٤٦.

(١) سورة يونس آية: ١٠١.

□ مبادئ التفكير:

والإسلام حين دعا إلى التفكير، ورحب به، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه.

فدعا إلى النظر فيما خلق الله من شيء، في السموات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفي الجماعات البشرية، ولم يحظر عليه إلا التفكير في ذات الله؛ لأن ذات الله فوق الإدراك.

[تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره] (٨).

والقرآن الكريم ملئ بمئات الآيات الداعية إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة وآفاقه الرحبة التي لا تحد بحد. ولا تقف عند نهاية.

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (٩)

وما أوسع الدنيا التي دعا الإسلام إلى التفكير فيها، وسعتها ليست بشيء في جانب سعة الآخرة.

□ غاية التفكير:

ومن أجل الغايات التي يريدها الإسلام: من إيقاظ العقل، واستعمال وظيفته في التأمل والنظر والتفكير هي هداية الإنسان إلى قوانين الحياة، وعلل الوجود وسنن الكون وحقائق الأشياء؛ لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له عن مبدع الكون وخالقه، ولتأخذه برفق إلى هذه الحقيقة الكبرى: حقيقة المعرفة بالله.

إن معرفة الله إنما هي نتاج عقل ذكي ملهم، وثمره تفكير عميق مشرق. وهذه هي إحدى وسائل القرآن في الدلالة على الله.

إنه يوقظ العقل، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة؛ ليتعرف منه ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، وأدلة قدمه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفردته بالخلق والإبداع.

لنصنع إلى هذه الآيات في وعى:

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية مرفوعاً إلى النبي بسند ضعيف ومعناه صحيح.

(٩) سورة البقرة آية: ٢١٩، ٢٢٠.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي بَلَدٍ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي بَلَدٍ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قَلِيلٍ مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِإِذْنِ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ثُمَّ يُرْسِلُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قَلِيلٍ مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٠).

فأى برهان أسطع من هذا البرهان، وأى حجة أبلغ من هذه الحجة. وإذا لم يخضع العقل لهذا البرهان، ويذعن لهذه الحجة، فإنه لا يخضع لبرهان، ولا يذعن لحجة قط.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (١١).

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

□ المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات :

والوسيلة الأخرى التى أتخذها الإسلام لتعريف الناس بالله، هى عرض أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا.

فالأسماء والصفات هى الوسائل التى تعرّف الله بها إلى خلقه، وهى النوافذ التى يطل منها القلب على الله مباشرة، وهى التى تحرك الوجدان، وتفتح أمام الروح آفاقاً فسيحة تُشاهد فيها أنوارُ الله وجلاله.

وهذه الأسماء هى التى ذكرها الله سبحانه فى قوله :

(١١) سورة النور آية : ٤٠ .

(١٠) سورة النمل الآيات : ٥٩ إلى ٦٤ .

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعَاؤَهُ وَادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (١٢) .
وهي التي أمرنا أن ندعوه بها .

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (١٤) .

وعدها تسعة وتسعون اسماً . روى البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة
أن رسول الله ﷺ قال :

[إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة (١٥) ، وإن الله وتر
يحب الوتر] .

وزاد الترمذى فى روايته :

هو الله (١٦) . الذى لا إله إلا هو الرحمن (١٧) . الرحيم (١٨) . الملك (١٩) .
القدوس (٢٠) . السلام (٢١) . المؤمن (٢٢) . المهيمن (٢٣) . العزيز (٢٤) .

(١٢) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

(١٣) ادعوه : سموه واذكروه واعلموه وتقرّبوا إليه بها .

(١٤) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(١٥) حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر فى نفسه آثارها .

(١٦) اقدّ : لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية المقدمة الواجبة الوجود المستحقة لجميع الحمد . وأما
بقية الأسماء فكل اسم منها يدل على صفة ، ولهذا صح أن تكون وصفاً للفظ الجلالة وأن يجبر بها
عنه .

(١٧) الرحمن : التعم بجلال النعم .

(١٨) الرحيم : التعم بنقاقتها .

(١٩) الملك : المتصرف فى ملكه كيفما شاء .

(٢٠) القدوس : المطهر من العيوب والتفاسد .

(٢١) السلام : الأمان لخلقه .

(٢٢) المؤمن : المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم .

(٢٣) المهيمن : المسيطر .

(٢٤) العزيز : الغالب .

- الجبار (٢٥). المتكبر (٢٦). الخائق (٢٧) البارىء (٢٨). المصور (٢٩). الغفار (٣٠).
 القهار (٣١). الوهاب (٣٢). الرزاق (٣٣). الفتاح (٣٤). العليم (٣٥).
 القابض (٣٦). الباسط (٣٧). الخافض (٣٨). الرافع (٣٩). المعز (٤٠).
 المذل (٤١). السميع. البصير. الحكيم (٤٢). العدل (٤٣). اللطيف (٤٤). الخبير.
 الحليم (٤٥). العظيم (٤٦). الغفور (٤٧). الشكور (٤٨). العلى (٤٩). الكبير (٥٠).

- (٢٥) الجبار: المنفذ لأوامره والمصلح لشئون عباده.
 (٢٦) المتكبر: المفرد بصفات العظمة.
 (٢٧) الخائق: الوجد للمخلوقات من غير أصل أو المقدر.
 (٢٨) البارىء: الخالق لما فيه الروح والوجد لما له أصل.
 (٢٩) المصور: المعطى لكل شيء صورته تميزه عن غيره. فالخالق الوجد للأشياء إيجاداً أولياً، أو المقدر،
 والبارىء المظهر لها، والمصور الذى أعطاها الصورة المناسبة.
 (٣٠) الغفار: كثير المغفرة ومستر الذنوب.
 (٣١) القهار: القابض على كل شيء والقاهر لكل الخلاقين.
 (٣٢) الوهاب: كثير النعم دائم العطايا والمنن.
 (٣٣) الرزاق: خالق الأرزاق وخالق أسبابها.
 (٣٤) الفتاح: الذى يفتح خزائن رحمته لعباده.
 (٣٥) العليم: العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء.
 (٣٦) القابض: قابض الأرواح، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده.
 (٣٧) الباسط: موسع الرزق على من يشاء.
 (٣٨) الخافض: الذى يخفض من هو مستحق للخفض بالحرى والذل والعذاب.
 (٣٩) الرافع: الذى يرفع من يستحق الرفع من المتقين.
 (٤٠) المعز: يعز من استمسك بيده ويعطيه النصر والغلبة.
 (٤١) المذل: الذى ينزل أعداءه.
 (٤٢) الحكيم: الحاكم الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.
 (٤٣) العدل: العادل الكامل فى عدلته.
 (٤٤) اللطيف: العالم بخفايا الأمور ودقائقها.
 (٤٥) الحليم: الذى لا يستغزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة.
 (٤٦) العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة.
 (٤٧) الغفور: كثير الغفران.
 (٤٨) الشكور: الذى يعطى الكثير على العمل القليل.
 (٤٩) العلى: الذى بلغ أعلى المراتب التى لا يتصورها العقل، ولا يدركها الفهم.
 (٥٠) الكبير: الذى لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه.

الحفيظ (٥١). المقيت (٥٢). الحسيب (٥٣). الجليل (٥٤). الكريم (٥٥).
 الرقيب (٥٦). المجيب (٥٧). الواسع (٥٨). الحكيم (٥٩). الودود (٦٠). المجيد (٦١).
 الباعث (٦٢). الشهيد (٦٣). الحق (٦٤). الوكيل (٦٥). القوي (٦٦). المتين (٦٧).
 الولي (٦٨). الحميد (٦٩). المحصى (٧٠). المبدىء (٧١). المعيد (٧٢). المحي (٧٣).
 المميت (٧٤). الحى (٧٥). القيوم (٧٦). الواجد (٧٧). الماجد (٧٨). الواحد.

(٥١) الحفيظ: الذى يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب، ويحفظ أعمال العباد، فلا يضيع منها
 شىء.

- (٥٢) المقيت: خالق الغذاء الروحى والمادى.
 (٥٣) الحسيب: الذى يكفى عباده، أو الذى يحاسبهم يوم القيامة.
 (٥٤) الجليل: الذى له صفات الجلال لكامل صفاته.
 (٥٥) الكريم: المعطى من غير سؤال ولا عوض.
 (٥٦) الرقيب: الذى يراقب الأشياء ويلاحظها.
 (٥٧) المجيب: الذى يستجيب للداعى إذا دعا.
 (٥٨) الواسع: الذى عمت رحته كل شىء، ووسع علمه كل شىء.
 (٥٩) الحكيم: صاحب الحكمة لكامل علمه وإتقانه كل شىء.
 (٦٠) الودود: المحب الخبير لخلق، والمحسن إليهم فى كل الأحوال.
 (٦١) المجيد: البالغ النهاية فى المجد والشرف.
 (٦٢) الباعث: أى باعث الرسل. وباعث المم. وباعث من فى القبور.
 (٦٣) الشهيد: العالم بكل مخلوق.
 (٦٤) الحق: الثابت الذى لا يتغير.
 (٦٥) الوكيل: القائم بأمر عباده وسائر ما يحتاجون إليه.
 (٦٦) القوي: صاحب القدرة التامة.
 (٦٧) المتين: الذى بلغ النهاية فى الشدة.
 (٦٨) الولي: المتولى أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم.
 (٦٩) الحميد: الم محمود المستحق للثناء.
 (٧٠) المحصى: الذى لا يغيب عن علمه شىء.
 (٧١) المبدىء: المظهر للأشياء من العلم.
 (٧٢) المعيد: الذى يعيدها بعد علمها.
 (٧٣) المحي: خالق الحياة فى كل حى.
 (٧٤) المميت: سالب الحياة من الأحياء.
 (٧٥) الحى: صاحب الحياة النائمة.
 (٧٦) القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره فيه قامت السموات والأرض.
 (٧٧) الواجد: الذى يجد كل ما أراده. فلا يحتاج إلى شىء لغناه المطلق.
 (٧٨) الماجد: مثل المجيد.

الصمد (٧٩). القادر. المقتدر. المقدم (٨٠). المؤخر. الأول (٨١). الآخر (٨٢).
الظاهر (٨٣). الباطن (٨٤). الوالى (٨٥). المتعالى (٨٦). البر (٨٧). التواب (٨٨).
..... المنتقم (٨٩). العفو (٩٠). الرعوف (٩١). مالك الملك (٩٢). ذو الجلال
والإكرام (٩٣). المقسط (٩٤). الجامع (٩٥). الغنى (٩٦). المغنى (٩٧). المانع (٩٨).
الضار (٩٩). النافع (١٠٠). النور (١٠١). الهادى (١٠٢). البديع (١٠٣).

(٧٩) الصمد: الذى يقصد فى الحوائج.

(٨٠) المقدم: الذى يقدم الأشياء بعضها على بعض فى الوجود، وفى الشرف، أو فى الزمان، أو فى المكان.

(٨١) الأول: القديم السابق على كل شىء.

(٨٢) الآخر: الباقى بعد كل شىء.

(٨٣) الظاهر: الذى أظهر وجوده بآياته.

(٨٤) الباطن: الخفى بذاته فلا يعلم ذاته أحد.

(٨٥) الوالى: الذى تولى الأشياء وملكها.

(٨٦) المتعالى: المنزه عن النقائص.

(٨٧) البر: كثير البر عظيم الإحسان.

(٨٨) التواب: الذى يوفق العصاة للتوبة، ويقبلها منهم.

(٨٩) المنتقم: المعاقب لمن يستحق العقوبة.

(٩٠) العفو: الماحى لسيئات من أناب إليه.

(٩١) الرعوف: عظيم الرأفة والرحمة.

(٩٢) مالك الملك: الذى تجرى الأمور فى السموات والأرض طبق مشيئته وإرادته.

(٩٣) ذو الجلال والإكرام: صاحب الشرف والكمال ومفيض النعم والآلاء.

(٩٤) المقسط: المتصف للمظلومين من الظالمين بعدله.

(٩٥) الجامع: الذى يجمع شتات الحقائق المختلفة والذى يجمع الناس يوم الدين.

(٩٦) الغنى: المستغنى عن كل ماعده والمقتدر إليه كل ما سواه.

(٩٧) المغنى: المتفضل باغناء من شاء من خلقه.

(٩٨) المانع: الذى يمنع أسباب الهلاك.

(٩٩) الضار: الذى ينزل عقابه بأعدائه.

(١٠٠) النافع: الذى عم خيره البلاد والعباد.

(١٠١) النور: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره.

(١٠٢) الهادى: الذى هدى وأرشد كل شىء إلى ما يحفظ وجوده.

(١٠٣) البديع: الذى لا نظير له.

الباقى (١٠٤). الوارث (١٠٥). الرشيد (١٠٦). الصبور (١٠٧) جل جلاله .

وفى كتاب الدين الإسلامى : وأسماء الله الحسنى الواردة فى القرآن هى .

- ١- أسماء الله بذاته تعالى وهى :
الواحد . الأحد . الحق . القدوس . الصمد . الغنى . الأول . الآخر .
القيوم .
- ٢- أسماء متعلقة بالتكوين وهى :
الخالق . البارئ المصور البديع .
- ٣- أسماء متعلقة بصفتى الحب والرحمة فيما عدا رب . ورحمن . ورحيم هى :
الرؤوف . الودود . اللطيف . الخليم . العفو . الشكور . المؤمن . البار . رفيع
الدرجات . الرزاق . الوهاب . الواسع .
- ٤- أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله وهى :
العظيم . العزيز . العلى . المتعالى القوى . القهار . الجبار . المتكبر . الكبير .
الكريم . الحميد . المجيد . المتين . الظاهر . ذو الجلال والإكرام .
- ٥- أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهى :
العليم . الحكيم . السميع . الخبير . البصير . الشهيد . الرقيب . الباطن .
المهيمن .
- ٦- أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمر وهى :
القادر . الوكيل . الولي . الحافظ . الملك . المالك . الفتاح . الحسيب . المنتقم .
المقيت .
- ٧- وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص فى القرآن ولكنها استمدت من أفعال أو
صفات له تعالى وردت بالقرآن وهى :
القابض . الباسط . الرافع . المعز . المذل . المجيب . الباعث . المحصى .

(١٠٤) الباقى : الدائم الوجود .

(١٠٥) الوارث : الباقى بعد فناء الموجودات .

(١٠٦) الرشيد : المرشد لعباده ، والنزى تجرى تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد .

(١٠٧) الصبور : الذى لا يتعجل بالعقوبة ، ولا يتعجل بشيء قبل أوانه .

المبدىء . المعيد . المحي . المميت . مالك الملك . الجامع . المغنى . المعطى .
المانع . الهادى . الباقي . الوارث .

٨ — وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعانى الواردة فى القرآن وهى :
النور . الصبور . الرشيد . المقسط . الوالى . الجليل . العدل . الخافض .
الواجد . المقدم . المؤخر . الضار . النافع . ويتصل بذلك صفتا التكلم
والإرادة .

□ اسم الله الأعظم :

وكما أن الله هذه الأسماء، فله اسم أعظم (١٠٨) إذا دعى به، أجاب وإذا
سئل به أعطى، جاء ذكره فيما يلى من أحاديث .

١ — عن بريدة رضى الله عنه قال :

سمع النبى ﷺ رجلاً يدعو، وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأنى
أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم
يكن له كفواً أحد).

قال : فقال : [والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذى إذا
دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى] (١٠٩) .

٢ — وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال : دخل النبى ﷺ المسجد
ورجل قد صلى (١١٠) وهو يدعو ويقول فى دعائه : [اللهم لا إله إلا الله
أنت المنان . بديع السموات والأرض . ذو الجلال والإكرام] (١١١) .

(١٠٨) اختلف العلماء فى تعيين اسم الله الأعظم والراجح من أقوالهم أنه دعاء مؤلف من عدة أسماء من
أسمائه سبحانه إذا دعا به الإنسان مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب الله له . وليس
هو سراً من الأسرار الذى يعطيه الله لبعض الأفراد فتتخرق لهم العادات ويمتقون ما يجز غيرهم
عن تحقيقه ، ولا ينبغى أن تزيد شيئاً فى كتاب الله وسنة رسوله .

(١٠٩) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال المنذرى : قال شيخنا أبو الحسن المقدسى هو
اسناد لا مطعن فيه ولا أعلم أنه روى فى هذا حديث أجود منه . وقال الحافظ بن حجر: هذا
الحديث أرجح ماورد فى هذا الباب من حيث السند . ويراجع فقه السنة ج ٢ .

(١١٠) دخل النبى ﷺ المسجد ورجل قد صلى قال النبوى : قال الحطيب : هذا الرجل أبو عباس زيد
ابن الصامت الأنصارى الرزقى .

فقال النبي ﷺ :

[أتدرون بما دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى] (١١٢).

٣- وعن أسماء بنت يزيد رضيت الله عنها، أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين:

﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (١١٣).

٤- وعن سعد بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [هل أدلكم على اسم الله الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟ الدعوة التى دعا بها يونس حيث نادى فى الظلمات الثلاث: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] فقال رجل: يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: [ألا تسمع قول الله عز وجل: [وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ] (١١٤).

فهذه الأسماء التى تفتح آفاقاً واسعة من المعرفة بالله إذا فهمها الإنسان، وأدرك معناها، وانفعلت بها نفسه، واتخذها نبراساً، فإنها تكشف له عن أكبر حقيقة من حقائق هذا الوجود (١١٥).

(١١١) ذو الجلال والإكرام: أى يا ذا العظمة والكبرياء وذا الأكرام لأوليائك.

(١١٢) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(١١٣) رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

(١١٤) رواه الحاكم.

(١١٥) يظن بعض الناس أن لبعض أسماء الله خواص إذا واطب عليها الإنسان حصل له الكثير من الخير والمجائب والخوارق وهذا الظن ليس له سند من الدين.

الذات الإلهية

- * إستحالة إدراك الذات..
- * الطبيعة تؤكد وجود الخالق.
- * الفطرة دليل وجود الله.
- * دلالة الواقع والتجارب.
- * التأييد الإلهي.
- * شواهد العقل.
- * لا سند للإلحاد.
- * إعتراف العلماء المحدثين بوجود الله.

إن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن للعقل معرفتها، ولا يستطيع إدراك كُنْهها؛ لأنها لا تحيط بها الفكرة، والإنسان لم يعط وسائل إدراكها بعد.

إن العقل البشرى مهما كان مبلغه من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور وعاجز غاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء.

فهو عاجز عن معرفة النفس الإنسانية، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل العلم والفلسفة.

وهو عاجز عن معرفة حقيقة الضوء، والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها.

وعاجز عن معرفة حقيقة المادة، وحقيقة الذرات التي تتألف منها. والمادة الصق بالإنسان.

ولا يزال العلم يقف عاجزاً أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة، لا يستطيع أن يقول فيها الكلمة الأخيرة.

قال العلامة الفلكي المشهور (كاميل فلانريون) في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة):

«نرانا نفكر، ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال. ونرانا نمشي، ولكن ما هو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك أرى أن إرادتى قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضاً، ومع ذلك فتى أردت أن أرفع ذراعى، أرى أن إرادتى تحرك مادتى، فكيف يحدث ذلك، وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية؟

يوجد من يستطيع أن يخبئنى عن هذا أيضاً، بل قل لى: كيف ينقل العصب البصرى صور الأشياء إلى العقل؟.

وقل لى: كيف يدرك العقل هذا؟.

وأين مستقره؟. وما هى طبيعة العمل الخفى؟

قولوا لى أيها السادة (يريد الملحدون)... ولكن كفى كفى! فأنى أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتى».

فإذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس والضوء والمادة، وما فى الكون المنظور وغير المنظور من أشياء، فكيف يتطلع إلى معرفة ذات البارى جل شأنه، ويحاول إدراك كنهه! ..

إن ذات الله أكبر من أن تدركها العقول، أو تحيط بها الأفكار وما أصدق قول الله سبحانه:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

□ العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفى وجودها:

وقصور العقل، وعجزه عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفى وجودها.

فعجزه عن إدراك حقيقة النفس لا ينفى أنها موجودة، وعجزه عن إدراك حقيقة الضوء لا ينفى وجود ضوء الآفاق، وعجزه عن إدراك كنه الذرة لا ينفى أن ثمة ذرات تتكون منها المادة، وهكذا سائر الأشياء التى يقصر العقل عن إدراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها.

ومثل ذلك الذات الإلهية إذا عجز الإنسان عن إدراك حقيقتها، فليس معنى ذلك أنها غير موجودة، بل هى موجودة كأقوى ما يكون الوجود.

إن وجوده سبحانه فى حكم البدهيات الأولية، والمسلمات العقلية، وما كان كذلك لا يطالب بإقامة الدليل عليه، إلا المكابر، كالأعمى الذى يطلب إقامة الدليل على وجود الشمس أثناء النهار، ومع ذلك فنحن نسوق من الأدلة ما يهدى إلى الحق ويكشف عن وجه الصواب.

□ الطبيعة تؤكد وجود الخالق:

إن وجود الله حقيقة لا شك فى أمرها، ولا مجال لإنكارها، فهو ظاهر كالشمس باهر كفلق الصبح، وكل ما فى الكون شاهد على هذا الوجود الإلهى، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً.

فالعالم العلوى، وما فيه من شمس وأقمار ونجوم وكواكب، والعالم الأرضى

(١) سورة الاتمام آية: ١٣٠.

وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، والترابط الوثيق، والتوازن الدقيق، الذي يوئلف بين هذه العوالم، ويحكم أمرها — ما هو إلا آية وجود الله، ومظهر تفرده بالخلق، ولا يتصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد، كما لا يتصور أن توجد الصنعة بدون صانع.

فإذا كان العقل يحيل أن تطير طائرة في الهواء، أو تغوص غواصة في الماء، دون أن يكون فيه صانع للطائرة، ومنشئ للغواصة، فإنه يجزم جزماً قاطعاً باستحالة وجود هذا الكون البديع، وهذه الطبيعة الجميلة من غير خالق خلقها، ومدبر دبر أمرها.

إن ثمة فروضاً ثلاثة يمكن أن نفرضها في تعليل الأصل الذي صدر عنه الكون، وليس ثمة فرض وراء هذه الفروض.

الفرض الأول: أن يكون صلور هذا الكون من العلم.
الفرض الثاني: أن تكون الصلفة وحدها هي التي نشأ عنها هذا الكون البديع.
الفرض الثالث: أن يكون ثمة موجد أوجد هذا الكون، وأنشأه ولتخص في مناقشة كل فرض من هذه الفروض:

فالفرض الأول باطل من أسامه؛ لأن المسببات مرتبطة بأسبابها، والنتائج مرهونة بمقدماتها.

ولا يتصور العقل أن يوجد معلول بدون علة، ولا مسبب دون أن يسبق بسبب، ولا نتيجة من غير أن يكون لها مقدمات.

فصلور الكون من العلم معناه وجود المعلول بدون علة، والمسبب دون سببه، والنتيجة دون مقدماتها: أي أن الكون وجد من نفسه وصدر منقطعاً عن سببه.

وجود الأشياء من نفسها منقطعاً عن أسبابها محال عقلاً وواقعاً؛ لأن وجود الأشياء من نفسها مع انقطاعها عن أسبابها ترجيح لجانب الوجود على جانب العلم بدون مرجح، وترجيح جانب الوجود على جانب العلم بدون مرجح محال.

إننا إذا قلنا: إن الكون وجد من نفسه منقطعاً عن سببه كان ذلك مساوياً لقولنا. بأن العلم سبب الوجود.

وهذا غاية في البطلان؛ لأن العلم لا يتصور أن يكون مصدراً للوجود، ففاقد الشيء لا يعطيه، وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢).

أى هل وجدوا من غير خالق؟! أم خلقوا أنفسهم، فلا يحتاجون إلى أحد يخلقهم؟! وكل هذا مستحيل.

والفرض الثانى: وهو أعظم تهاوتاً من الفرض الأول، فإن الصدقة لا يمكن أن ينبثق عنها هذا النظام، ولا أن يصدر عنها هذا الإحكام، فهل الصدقة هى التى خلقت الذكر والأنثى، وألفت بينها هذا التأليف الجميل؟ وهل هى التى خلقت الأرض، وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد؟ وهل الصدقة هى التى علقت الأرض فى الهواء وسيرتها فى مدارها الذى لم تنحرف عنه قيد شعرة منذ ملايين السنين؟ وهل الصدقة هى التى سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون أن تتصادم؟ وهل الصدقة هى التى أوجدت العناصر التى يتألف منها الكون، وهى التى تُنَسِّقُهَا تنسيقاً دقيقاً صالحاً للاستمرار والدوام إلى المدى الذى أراده الله؟.

إن الذرة وهى أصغر الأشياء يحار العقل والعلم فى تركيبها المحكم وتناسقها العجيب، وتآلف أجزائها بعضها مع بعض، فهل هذا التركيب والتأليف والتناسق صدقة؟ لنستمع إلى كلمة العلم فى الذرة:

«تتألف المادة من ذرات لا يمكن رؤيتها بأقوى المجاهر (الميكروسكوب) ولكى نتصور حجم الذرة علينا أن نتصور أننا لو رصصنا مائة مليون ذرة جنباً إلى جنب لبلغ طولها بوصة تقريباً، ومن ناحية أخرى يوجد فى قطرة من مياه البحر خمسون مليون ذرة من الذهب.

وتتألف الذرة من نواة تدور حولها كهارب سلبية (الالكترونات) فى أفلاك مستديرة، وبين الاثنين فراغ يشبه الفراغ بين الكواكب والشمس من حيث النسبة بين الحجم والأبعاد.

(٢) سورة الطور آية : ٣٤ - ٣٥.

ويبلغ وزن أخف نواة ١٨٥٠ ضعف وزن الألكترون، ولو رصت عشرون ألف نواة جنباً إلى جنب لبلغ طول قطرها قطر الذرة، أو بعبارة أخرى نسبة النواة إلى الذرة كراس الدبوس بالنسبة إلى منزل متوسط الحجم .

وتدور الألكترونات حول النواة في أفلاك كأفلاك الكواكب إذ تدور حول الشمس، ولكن هذه الأفلاك أكثر حساسية وأقل تحميداً من أفلاك الكواكب، ولو أن المادة المولفة من النوى الذرية مكدسة مع بعضها أى بدون الفراغ الموجود بين النواة والالكترونات لبلغ وزن قطعة نقدية فى حجم القرشين حوالى ٤٠ مليون طن .

وتتألف النواة من كهارب موجبة (بروتونات) يساوى عددهم عدد الكهارب السالبة (الالكترونات) التى تدور حول النواة — ويوجد إلى جوار البروتونات كهارب أخرى متعادلة الشحنة تسمى نيوترونات، ولو استطعنا أن نخلخل من هذه الرابطة التى تربط بين البروتونات والنيوترونات، أو بالأحرى لو استطعنا أن نهىء السبل لهروب نيوترون واحد من مجموع النيوترونات التى تحيط بالبروتونات إذن لانطلقت طاقة كبرى كان اينشتين أول من قدرها بأنها تساوى الكتلة فى مربع سرعة الضوء مقدراً بالسنتى متر فى الثانية» (٣) .

فإذا انتقلنا من الذرة، ورفعنا رؤوسنا إلى الشمس رأينا العلم يقول :

« الشمس هى كرة متأججة بنار أشد وطياً من كل نار على الأرض، وهى أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، أما بعدها عنا فنحو ٩٢,٥٠٠,٠٠٠ ميل، هذا وإن هى إلا نجمة، وليست هى فى عداد النجوم الكبرى .

وهناك مشكلة أخرى أعى حلها النهائى عقول العلماء والفلكيين، هى أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تنزل تشع نفس المقدار أو نحوه من الحرارة مدة ملايين من السنين، فإن كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها، فكيف لم تفتن مادتها مع توالى العصور؟ فلاشك أن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير مانعهد ونألف، وإلا لكفاها ٦٠٠٠ سنة لتحترق، وتنفد حرارتها .

(٣) مستقبلنا الذرى — تأليف ادوارد تيللر والبرت لاثر — الطاقة الإنسانية .

«أما فضل الشمس علينا، فليس أنها مصدر نورنا ونازنا فقط، بل هي محور نظامنا السيارى، ومصدر حياتنا أيضاً، فهي التى تبخر مياه البحر، وترفعها غيوماً فى الجو، وتنزلها أمطاراً على الأرض، حيث تجرى جداول وأنهاراً تروى زرعنا وتنمى أغراسنا، وتثير الرياح، وتهيج الأنواء، فتطهر الهواء وتنقيه، وتزجى السفن والمراكب فى عُباب المحيط، وهى التى تجر المركبات، وتدير الآلات البخارية، وما الفحم الحجري إلا حرارة نورها المدخرة منذ قديم الأدهار؛ لينتفع بها بنو العصور المتأخرة، ولا حياة لولا الشمس لحيوان، ولا نبات؛ فالحيوانات تنتعش بجزارتها، والأطيوار تغرد بأنوارها، وتسبح وتسيحاً، وبجزارتها وأنوارها تبرز النباتات، وتنمو الأشجار، وتزهو الأزهار، وتنضج الأثمار فنحن مدينون للشمس بماكلنا ومشربنا، وهى علة وجودنا على هذه الأرض».

فإذا تجاوزنا الشمس وجدنا أن :

«أقرب نجم إلينا بعد الشمس يعادل بعلمه ٢٦٠٠٠٠ مرة بعد الشمس عنا .

ويعتبر هذا شيئاً ضئيلاً جداً بالنسبة لنجوم المجرة التى أسمها القلماء «طريق التبانة». بل تعتبر المجموعة الشمسية ذرة إذا قيست بالمجرة؛ إذ أنها تحتوى على مائة مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص المفرطح الرقيق نسبياً .
ويقول هيربرت سبنسر جونز مؤلف كتاب «الفلك العام» .

«إن الضوء يستغرق مائة ألف سنة ضوئية ليصل بين طرفى المجرة، ومعلوم أن الضوء يسير بسرعة ١٧٦٠٠٠ ألف ميل فى الثانية، أو ٣٠٠٠٠٠ ألف كيلومتر. وعلى هذا فإن السنة الضوئية تعادل عشر مليون مليون كيلومتر.

وليست هذه المجرة التى تبلغ هذا الحد من الضخامة التى لا يقوى العقل على استيعابها إلا واحدة من كثيرات لم يحصها العد.

وبقى أن نعرف أن أقرب مجرة لمجراتنا تبعد سبعة مائة ألف سنة ضوئية «(٤)» .

أفبعد هذا يتصور العقل أن يكون ذلك ناشئاً بطريق الصلغة ؟ .

(٤) قصة الكون من السديم إلى الإنسان من كتاب الطاقة الإنسانية .

إن القول بالصدفة في خلق الكون لا يتصوره العقل ، ولا يقره العلم ، ولا يقوله إنسان إلا إذا فقد أخص خصائصه من الإدراك والتمييز.

قال الفيلسوف الألماني أدوارد هارتمان خليفة شوبنور في كتابه المنهـب الدرـونى : « إن الرأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد فى الكون عند الدارونيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم » .

وقال الأستاذ فون باير الألماني فى كتابه دحض منهـب دارون : « وإذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد فى الطبيعة ، وأن الكون لا تقوده إلا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك وهى أنى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية » قال الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رحمه الله بعد أن ذكر هذا الكلام الأخير : « ولو شئنا الاستئناس بمئات من أقطاب العلم والفلسفة على رأى عدم وجود القصد فى الحقيقة لا كلفنا ذلك أكثر من النقل » .

ومتى ثبت وجود القصد فى الكون ، فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جل وعلا من طريق محسوس لاسبيل للجدل فيه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ أَفِى اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ﴾ (٥).

وإذا لم يصح الفرض الأول ، ولا الفرض الثانى ؛ لأنها خارجان عن دائرة العقل والمنطق والعلم لم يبق إلا الفرض الثالث :

وهو أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً ، وهذا هو مقتضى العقل والمنطق السليم الذى دعا سقراط إلى الإيمان بالله ، وإفحام اريستوديم الذى ينكر الألوهية فى المحاورة التى نذكرها فيما يلى :

سقراط : أ يوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

إريستوديم: نعم أعجب فى الشعر القصصى بهومير ، وفى التصوير بزوكيس ، وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت .

(٥) سورة إبراهيم آية : ١٠ .

سقراط : أى الصناعات أولى بالإعجاب ، الذى يخلق صوراً بلا عقل ولا حراك أم
الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة ؟

إرستوديم: طبعاً الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة إذا لم تكن من نتائج
الاتفاق .

سقراط : وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تُعطى الأعضاء لمقاصد وغايات
خاصة ، عين ترى ، وأذن تسمع ، وأنف يشم ، ولسان يتنوق ، والعين
تحاط بمجاسة لحساسيتها وضعفها ، فتقف عند النوم ، أو عند الحاجة ،
وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجي يجمع لها
الصوت ، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟

والليل المودع فى النفوس للتناسل ، والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات
بالنسبة للأولاد ، مع ندرة أن يتفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم
الرضاعة بمجرد ولادته .

هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟

إرستوديم: لا ، إن ذلك يدل على الإبداع وعلى أن الخالق عظيم يجب الكائن
الحى ، ولكن لماذا لانرى الخالق ؟

سقراط : وأنت أيضاً لاترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا
أن نقول إن أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون إدراك ؟

وصدق الله العظيم الذى يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١) .

□ الفطرة دليل وجود الله :

والكون وما فيه من نظام ، وإحكام ، وجمال ، وكمال ، وتناسق ، وإبداع ،
ليس هو وحده الشاهد الوحيد على وجود قيوم السموات والأرض ؛ وإنما هناك
شاهد آخر ، وهو الشعور المغروس فى النفس الإنسانية بوجوده سبحانه ، وهو شعور

(١) سورة فصلت آية : ٣٧ .

فطرى فطر الله الناس عليه، وهو المعبر عنه بالفريزة الدينية، وهو المميز للإنسان عن الحيوان، وقد يغفو هذا الشعور بسبب ما من الأسباب، فلا يستيقظ إلا بمثير يبعث على يقظته من ألم ينزل، أو ضر يحيط، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ﴾ (٧).

□ دلالة الواقع والتجارب:

وإذا كان النظر العقلى فى الكون وأسراره يهذى إلى البارى جل شأنه، وإذا كان الشعور الفطرى شعوراً أصيلاً فى النفس الإنسانية، يستوى فيه العالم والجاهل، والحضرى والبلوى، والرجال والنساء، والأولون والآخرون، فإن ثمة دليلاً آخر مأخوذاً من واقع الإنسان وتجاربه، فكم دعا الإنسان ربه، فأجاب دعاه وكم ناداه، قلبى نداه، وكم سأله فأعطاه، وكم توكل عليه فكفاه، وكم من مرض شفاه منه، وكم من ألم خففه عنه، وكم من رزق ساقه إليه، وكم من كربة فرجها، وكم من غمة كشفها.

إن تجارب الإنسان فى الحياة تأخذ بيده، وتوصله إلى الله مباشرة؛ لأنها تكشف له عن الحقيقة التى لم يستطع أن يلمسها بجواسه والتى تدبر الكون. وتسيره وفق نظام محكم وقانون مُطَّرد، وما من إنسان إلا وقد وقع له فى حياته من التجارب ما عرفه بالله، وهدهاه إليه، وأوقعه عليه.

فكثيراً ما يفقد الإنسان جميع الأسباب المادية التى تجلب الخير له، أو تدفع الشر عنه. فإذا توجه بقلبه إلى رب كل شىء ومليكه تحقق له من الخير ما يصبو إليه واندفع عنه من الشر ما يخاف منه دون سبب ظاهر، أو تعليل معقول فيماذا تفسر هذه الظواهر؟.

وهل لها تفسير سوى أن من ورائها رب الأرباب ومسبب الأسباب.

□ التأييد الإلهى:

ومن دلائل الوجود الإلهى أن المؤمنين بالله إيماناً حقيقياً أعلى من غيرهم علماً

(٧) سورة يونس آية: ١٢.

وأكثر أديباً، وأزكى نفساً، وأطيب قلباً، وأكثر تضحية، وأعظم إثارة، وأنفع الناس للناس، فما الذى غير طباعهم وغرائرهم وميولهم. ووجهها وجهة الحق والخير والجمال والكمال؟.

لماذا لم يكونوا مثل غيرهم ممن لا يؤمنون بالله من غلظ الجهل، وجفاء الطبع، وخبث النفس. وظلمة القلب. وفساد الخلق. وحيوانية فى الطالب والمآرب؟ لا بد وأن يكون وراء ذلك سر.

وهل فيه سر غير أن المؤمنين بالله يدهم بالقوى التى تصحح إنسانيتهم ليصلوا إلى أقصى ما قدر لهم من كمال، فهذا التغيير فى نفوس المؤمنين وصفاتهم وأخلاقهم وميولهم أدل دليل على وجود قوى روحية خفية تعمل عملها فى صمت، وتظهر آثارها جليلة فى سلوك المؤمنين بها، الواصلين حبالهم بجبالها.

□ شواهد النقل :

ومما يستشهد به على الوجود الإلهى الحقيقى أن المصطفى من العباد، والأخيار من الناس، نادوا فى الناس من عهد آدم إلى عهد محمد، عليهم صلوات الله وسلامه، بأن لهذا الكون إلهاً حكيماً، وأجمعوا على ذلك.

وقد قامت الشواهد على صدقهم من تأييد الله لهم، وكبت أعدائهم، وجعل كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فأى دليل أبلغ من قول الصادقين مع الله والمخلصين له، والداعين إليه، والمتفانين فيه، والمؤيدين به.

□ لا سند للحاج :

وأخيراً نقرر أنه لم يثبت من ناحية العقل، ولا من ناحية العلم أى دليل يمكن الاستناد إليه فى نفى وجود الله. وكل ما ذكره الملحدون ما هو إلا وهم لا يستند إلى منطق سليم، ولا علم مكين.

وليس هذا الإلحاد مجيد على الناس، ولا هو من مبتكرات هذا العصر، وإنما هو قديم، وقديم جداً، قاومه الأنبياء عبر الأجيال والصور. يقول القرآن الكريم.

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٨).

فهل ثمة فارق بين مقاله الأولون في عصر الجاهلية، وبين ما يقوله الآخرون في العصر الذي يتحدثون عنه بأنه عصر النور والعرفان؟

على أن العصر الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل، لم يستطع أن ينكر وجود الله، بل إن علماءه من أشد الناس إيماناً بالله، ولا نريد بالعلماء السطحيين من ادعاء العلم، وإنما نقصد العلماء الحقيقيين.

ومما يؤيد هذا الذي نقوله مانشره الدكتور دينرت من بحث حلل فيه الآراء والفلسفة لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم، فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالماً، أنهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما يلي:

٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله.

٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة.

٢٠ لم يهتموا بالتفكير الديني (٩).

وهكذا نجد أغلبية ساحقة تزيد عن ٩٠% يعلنون إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية، ونجد من سواهم لا يزالون في تردد، أو لم يهتموا بالعقيدة الدينية في أبحاثهم، وأغلب الظن أن المترددين سيصلون يوماً، وأن الآخرين الذين لم يهتموا بالعلم لساحة الله يعانون نقصاً، لو تخلصوا منه لوصلوا.

ونختم هذا البحث عن الدليل العقلي على وجود الله بأقوال مشاهير العلماء:

يقول هرشل العالم الفلكي الإنجليزي: كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحله (١٠).

(٨) سورة الجاثية آية: ٢٤.

(٩) نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد ٢٩ عن كتاب الإسلام الدكتور أحمد شلبي

(١٠) دائرة معارف «وجلى» مادة ١ له ج ١ ص ٥٠٣.

ويقول الدكتور وتز الكيماوى الفرنسى : إذا أحسست فى حين من الأحيان
أن عقيدتى بالله قد تزعزعت وجهت وجهى إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها (١١) .
ويقول فولتير ساخراً : « لم تشككون فى الله ، ولولاه لحانتنى زوجتى وسرقنى
خادمى » !؟

صفات الله

- * الصفات السلبية.
- * الصفات الثبوتية.
- * صفات الذات والأفعال.
- * صفات الله أعلام مادية.

والله سبحانه الموجد للكون له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، التي هي من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته.

وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق، فلا يشاركه فيها شريك؛ لأنه وحده هو الرب والإله، فلا رب غيره، ولا إله إلا الله. وهذه الصفات منها صفات سلبية (١)، ومنها صفات ثبوتية.

□ الصفات السلبية :

أما الصفات السلبية فهي :

الأول والآخر :

فالله سبحانه هو الأول : ومعنى أوليته : أنه سبحانه لا أول لوجوده، وأن وجوده غير مسبوق بعلم .

وأنه هو الآخر: ومعنى آخريته : أنه سبحانه لا آخر لوجوده، وأنه باق إلى مالا نهاية، فهو سبحانه أزلي وأبدى . لا يسبقه علم، ولا يلحقه فناء؛ لأنه واجب الوجود؛ يقول الله سبحانه :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ (١) وَالْآخِرُ (٢) وَالظَّاهِرُ (٣) وَالْبَاطِنُ (٤) وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

ويقول :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٢) .

ويقول :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٣) .

(١) هي التي سلبت عن الله مالا يليق بكماله .

(٢) الأول : السابق في الوجود كل الموجودات من غير سبق العدم .

(٣) الآخر : الباقي بعد فناء الموجودات .

(٤) الظاهر : بآثاره الدالة على وجوده .

(٥) الباطن : هو الذي لا تدركه الحواس ولا تحيط به العقول .

(٦) سورة الحديد آية : ٣ .

(٧) سورة القصص آية : ٨٨ .

(٨) سورة الرحمن آية : ٢٧ ، ٢٨ .

وروى البخارى والبيهقى عن عمران بن الحُصَيْن قال :

« إني عند النبي ﷺ ، إذ جاءه قوم من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى (١) يا بنى تميم ، قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم . قالوا : قبلنا . جئنا لتنفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ .

قال : كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شيء .

والذكر هو اللوح المحفوظ ، وهو خلق عظيم من خلق الله ، سجل الله فيه جميع الكائنات التى قدرها ، أو هو عبارة عن علم الله المتعلق بسائر الموجودات : كلها وجزئها ، صغيرها وكبيرها .

ومعنى قوله وكان عرشه على الماء : أن العرش فى جهة العلو ، والماء تحته فى جهة السفلى ، وليس معناه أنه ملاصق للماء محمول عليه . كما يقال السماء على الأرض . أى أنها فوقها دون ملاصقتها لها .

□ بدء الخلق فى رأى علماء الشرع :

ويظهر من الأحاديث أن العرش هو أول المخلوقات العلوية ، وأن الماء هو أول المخلوقات المادية ، وأنه خلق قبل العرش كما رواه أحمد والترمذى ..
وبعد خلق العرش والماء خلق الله السموات والأرض .

ويظهر أيضاً من الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والترمذى أن أول المخلوقات المعنوية القلم ، فقد روى عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال :

[أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة] .

وأما ما روى من أن أول المخلوقات العقل ، فلم يثبت هذا الحديث ، وكذلك حديث « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر .

(١) البشرى : هى أن من أسلم نجاً من الخلود فى النار .

وليس ثمة دليل يمكن التعويل عليه في أصل الكائنات من جهة الشرع .

□ بدء الخلق في رأى علماء الفلك وطبقات الأرض :

وعلماء الفلك وطبقات الأرض يتفقون مع علماء الشرع في أن الكون حدث ، وتطور بعد أن لم يكن ، ولكنهم يختلفون عنهم في بداية هذا الحدوث وتطوره .

فالشرع لا يتحدث عن ذلك ، بينما هم يقولون كما جاء في كتاب تاريخ الأرض « لجورج جامبو » إن الكون بدأ تطوره منذ بليون بليون سنة . أما الأرض فقد نشأت حديثاً جداً إذ لم توجد إلا منذ بليونين من السنين فقط ، وظهرت الحياة على الأرض منذ بليون سنة ، والحيوانات البرمائية منذ ٢٠٠ مليون سنة أما الحيوانات الثديية التى يعتبر الإنسان أحد فروعها ، فقد بدأ ظهورها على الأرض منذ ١٢٠ مليون سنة .

والإنسان هو أحدث الوافدين على الأرض إذ بدأ على صورته الإنسانية منذ ٥٠ مليون سنة .

والله أعلم بحقيقة ذلك .

ولا يصح أن يقال : إن الله خلق الخلق ، فن خلقه ؟ لأن هذا السؤال خطأ ، لأن الخالق لا يكون مخلوقاً ؛ لأنه لو كان مخلوقاً لاحتاج إلى خالق ، وهكذا إلى مالا نهاية وعقولنا القاصرة لا تدرك حقيقة نفسها ، فكيف بحقيقة الذات الإلهية وقد نهينا أن نبحث فيها ، ففى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فن خلق الله ؟ فن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله] (١) .

وقد كتب أحد العلماء الباحثين جواباً عن هذا السؤال موضحاً له بمثال ، فقال : إذا وضعت كتاباً على مكتبك ، ثم خرجت من الحجرة ، وعدت إليها بعد قليل ، فرأيت الكتاب الذى تركته على المكتب موضوعاً فى الدرج ، فإنك تعتقد تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه فى الدرج ، لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه . احفظ هذه النقطة ، وانتقل معى إلى نقطة أخرى .

(١٠) رواه مسلم .

لو كان معك فى حجرة مكتبك شخص جالس على الكرسى، ثم خرجت، وعدت إلى الحجرة، فرأيتك جالساً على البساط مثلاً، فإنك لاتسأل عن سبب انتقاله، ولا تعتقد أن أحداً نقله من موضعه؛ لأنك تعلم من صفات هذا الشخص أنه ينتقل بنفسه، ولا يحتاج إلى من ينقله.

احفظ هذه النقطة الثانية، ثم ما أقول لك:

لما كانت هذه المخلوقات، محدثة ونحن نعلم من طبائعها وصفاتها أنها لاتوجد بذاتها، بل لابد لها من موجد، عرفنا أن موجدها هو الله تبارك وتعالى، ولما كان كمال الألوهية يقتضى علم احتياج الإله إلى غيره، بل إن من صفاته قيامه بنفسه، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج إلى من يوجده.

وإذا وضعت النقطتين السابقتين إلى جانب هذا الكلام، اتضح لك هذا المقام، والعقل البشرى أقصر من أن يتورط فى أكثر من ذلك.

□ ليس كمثل شىء:

والله سبحانه لا يماثل شىء، ولا يماثل شيئاً، فكل ما خطر ببالك، فهو بخلاف ذلك، يقول الله سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

ومماثلة غير الله فى بعض الصفات إنما هى من حيث التسمية، لا من حيث الحقيقة، فإذا قيل: إن فلاناً عالم وحى وموجود وقادر وحكيم ورحيم، فهو من حيث الظاهر فقط، ومع ذلك فإن وجود العلم والحياة، والقدرة والحكمة والرحمة فى الله كاملة غاية الكمال، ووجودها فى الأفراد ناقصة غاية النقص بالإضافة إلى الله جل شأنه.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢).

إن الإنسان خلق ضعيفاً والله قوى عزيز.

والإنسان خلق فقيراً والله غنى حميد.

(١١) سورة الشورى آية: ١١

(١٢) سورة النحل آية: ٦٠

- والإنسان والد ومولود ، والله لم يلد ولم يولد .
- والإنسان نساء ، والله لا يضل ولا ينسى .
- والإنسان ناقص ، والله هو الكمال المطلق .
- والإنسان محكوم عليه بالموت ، والله حي لا يموت .

يقول سبحانه :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) .

فآية تقرر:

١ — أن الله واحد في ألوهيته لا يعبد معه غيره ؛ لأنه هو الحي التام الحياة والقيوم الذي قامت به السموات والأرض .

٢ — وأنه مقدس عن مماثلة غيره من الأحياء ، فلا يأخذ نوم ولا سنة ولا فتور يسبق النوم .

٣ — وأن الكون كله : أرضه وسماؤه مملوك له ، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتدييره .

٤ — وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ومشيئته .

٥ — وأن علمه محيط بكل شيء : الماضي والحاضر والمستقبل .

٦ — ولا يدرك أحد شيئاً من علمه إلا بالقدر الذي يشاؤه .

٧ — وأن كرسية وسع السموات والأرض .

٨ — وأنه لا يتقله حفظها وهو العلي العظيم .

وقد سئل النبي ﷺ صف لنا ربك ؟ فأنزل الله عز وجل :

(١٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ *
 * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ * ﴾ (١٤).

أى لم يكن له مماثل ولا مكافىء.

وما ورد فى الآيات الكريمة والسنة المطهرة مما يوهم بظاهرة مشابهة الله لخلقه فى بعض صفاتهم، فنؤمن به بدون تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ويسعنا ما يسع السلف، رضى الله عنهم وأرضاهم.

وأحسن ما يقال فى ذلك ما قاله الإمام الشافعى :

« آمنت بكلام الله على مراد الله، وبكلام رسول الله على مراد رسول الله ».

□ الأحَد :

وهو سبحانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله .

ووحدة الذات : معناها أن ذاته ليست مركبة من أجزاء، وأنه لا شريك له فى ملكه .

﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١٥).

ووحدة الصفات معناها : أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته .

ووحدة الأفعال، معناها : أنه ليس لأحد غيره فعل من الأفعال، فالله خالق كل شىء، ومبدع كل شىء، فهو سبحانه مستقل بالإيجاد والإبداع .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ *
 * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

فهو أحد أى أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، وأن جميع الأمور إليه وكل شىء فى قبضته .

وهو الصمد أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم .

(١٤) سورة الاخلاص : الصمد هو المقصود فى الحوائج .

(١٥) سورة الزمر آية : ٤

لم (يلد) لم ينبثق عنه ولد فهو كامل غاية الكمال .

(ولم يولد) لم ينبثق عن غيره ؛ لأنه لا أول لوجوده (ولم يكن له كفواً أحد)،
لم يكن له أحد يساويه ، ويمثله .

ولو وجد مع الله شريك له في الهيئته لبطل نظام هذا الكون العجيب :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ ﴾ (١٦) .

أى لو كان في السموات والأرض آلهة تدبر أمرهما غير الخالق لهما لاختل نظامهما لتنازع المشرفين عليهما ؛ لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف . وهذا كقوله :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبِيحٌ مَسْبُوحٌ لِلَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۗ ﴾ (١٧) .
وقد تضمنت الآية :

١ — أن الله سبحانه لم يتخذ ولداً لاستلزام انفصال الولد عن أبيه ، وذلك يقتضى التركيب المحال على الله ، ولأن الولد يجانس أباه ، ويمثله ، والله ليس كمثلته شىء .

٢ — والله لا ينبغى أن يكون معه من إله ؛ لأنه لو كان معه إله يشاركه فى الألوهية ، ويخلق معه لنهب كل واحد بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض .
أى غالب بعضهم بعضاً ليوسع ملكه ، ولو حصل هذا لفسد نظام العالم .
ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذى الجلال .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ مَسِيلاً * سَبِيحَتُهُ
وَتَعْلَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۗ ﴾ (١٨) .

(١٦) سورة الأنبياء آية : ٢٢

(١٧) سورة المؤمنون آية : ٩١

(١٨) سورة الإسراء آية : ٤٣

□ الثالث عقيدة وثنية :

عقيدة النصارى أساسها الثالث الأقدس : أى المركب من ثلاثة أقانيم (١٩) هى : الآب، والابن، وروح القدس، وهى جواهر ثلاثة، وكل جوهر منها مستقل عن الآخر.

والثلاثة مع ذلك إله واحد :
قال أحد النصارى :

فهو الإله ابن الاله وروحه فثلاثة هى واحد لم تقسم
والتثليث ليس خاصاً بالنصارى، جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر
الفرنسية قولها فى تحديد لفظة ثالثاً .

«إنه» اتحاد ثلاثة أشخاص متميزة مكونة لإله واحد فى عقيدة الديانة
النصرانية وبعض الديانات الأخرى، فيقال مثلاً: الثالث النصرانى، والثالث
الهندي» انتهى .

قال المرحوم العلامة الأستاذ فريد وجدي :

«نعم كان الثالث موجوداً فى ديانة قداماء المصريين بالنسبة لآلهتهم الوطنية،
وقد اندثرت تلك الديانة الآن .

«والثالث الهندي موجود للآن لدى الملايين من الناس فى الهند والصين،
وهو أن البراهمة يعتقدون : أن الخالق تجسد أولاً فى «برهما» ثم فى «فيشنو» ثم
فى «سيفا»، ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثى .

ويعتقد البوذيون أن الإله فيشنو الذى هو أحد أركان الثالث الهندي تجسد
مراراً عديدة لتخليص العالم من الشرور والنوب، وكان تجسده فى بوذا للمرة
التاسعة» انتهى .

(١٩) أى أصول .

هذا العقيدة هي في حقيقة أمرها وثنية، وأنها دخيلة على دين الله، فالله منزه عن أن يشبهه شيء، أو يشبهه هو شيئاً آخر.

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»

وذاته فوق متناول العقول :

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢٠).

ولا يجوز أن تتركب ذاته المقدسة من أجزاء، أو تتحد بالأشياء، أو تحل في

خلق من المخلوقات :

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (٢١).

وعقيدة التوحيد والتنزيه هي عقيدة جميع الأنبياء والرسل، حتى السيد المسيح نفسه، والذين يزعمون غير هذا من النصارى لا برهان لهم من العقل، ولا سند لهم من النقل، وإنما هي ظنون وأوهام طرأت عليهم من الديانات الوثنية القديمة، قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر عند كلمة ثالث:

«إن عقيدة الثالث، وإن لم تكن موجودة في العهد الجديد الإنجيل ولا في أعمال الآباء الرسولين، ولا في تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستنتي، الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان رغماً من أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف عُلِّقت بها الكنيسة بعد ذلك. نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكر عليه اسم الآب، والابن، والروح القدس، ولكننا سنرى أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهمه عندنا الآن نصارى اليوم.

وإن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق.

وما كان بطرس أحد حواريه يعتبره إلا رجلاً موحى إليه من عند الله.

(٢٠) سورة الأنعام آية : ١٠٣

(٢١) سورة طه آية : ١١٠

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى، وقال: إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أى عقل سام متولد من الله، وكان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك تابع للإله الأب.

ثم قالت دائرة المعارف بعد ذلك: كان الشأن فى تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت عالية مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المنتصرين.

فإن الناصريين (٢٢)، والإبثيوثيين، وجميع الفرق النصرانية التى تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى إنسان محض، مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد إذ ذلك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملحدون.

قال جوستين مارشير (٢٣):

«إنه كان فى زمنه فى الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ويعتبرونه إنساناً محضاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل» انتهى كلام دائر المعارف الفرنسية (٢٤).

إن بطلان عقيدة التثليث واضح وضوح الشمس، ومع ذلك لا أدرى كيف يحرصون على ما هو باطل، ويتعصبون له تعصباً أعمى، دون سند من التاريخ، أو حجة من المنطق.

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢٥).

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٢٦).

ومن المحاورات الطريفة:

أن بعض المسلمين قال لأحد القسوس: إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس

(٢٢) سكان مدينة الناصرة التى تسمى بها النصارى.

(٢٣) مؤرخ لاتينى فى القرن الثانى.

(٢٤) من كتاب «كنز العلوم واللغة».

(٢٥) سورة الحج آية: ٤٦.

(٢٦) سورة النور آية: ٤٠.

الملائكة قد مات، فقال له القسيس: إن ذلك كذب، لأن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم: وكيف؟ وأنت تقول الآن في وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب، فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة، فهبت القسيس ولم ينطق بكلمة، أو ينبس ببنت شفة.

وقال أحد شعراء المسلمين:

عجباً للمسيح بين النصارى	وإلى الله والدا نسبه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلجوه
فلئن كان مايقولون حقاً	فسلوهم فأين كان أبوه
فإن كان راضياً بأذاهم	فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطاً غير راض	فاعبلوهم لأنهم غلبوه

ومن أحسن ما قيل في ذلك، قول البوصيري في قصيدته:

جاء المسيح من الإله رسولا	فأبى أقل العالمين عقولا
أسمعتم أن الإله لحاجة	يتناول المشروب والمأكولا؟
وينام من تعب ويلعوره	ويروم من حر الهجير مقبلا
ويمسه الألم البنى لم يستطع	صرفاً له عنه ولا تحويلا
يا ليت شعري حين مات بزعمهم	من كان بالتدبير عنه كفيلا
زعموا الإله فدى العبيد بنفسه	وأراه كان القاتل المقتولا
أيجوز قول مُنَزَّهٍ لإله	سبحان قاتل نفسه فأقولا
أو جل من جعل اليهود بزعمكم	شوك القتاد لرأسه إكليلا
ومضى لحبل صليبه مستسلماً	للموت مكتوف اليدين ذليلا
ضلّ النصارى في المسيح وأقسموا	لا يهتدون إلى الرشاد سبيلا
جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتموا	لم يجعلوا العدد الكثير قليلا
وإذا أراد الله فتنة معشر	وأضلهم رأوا القبيح جميلا

□ الصفات الثبوتية:

ما تقدم من الصفات كان صفات سلبية أما الصفات الثبوتية فهي:

□ القدرة :

وهو سبحانه قادر لا يعجزه شيء، وصدور هذا الكون ماهو إلا مظهر من مظاهر قدرته وعظمته، وقدرته سبحانه سالحة فى كل وقت لإيجاد كل ممكن وإعدامه ..

والتأمل اليسير فى السموات والأرض، والليل والنهار، والحياة والموت، ومايجرى من شئون فى كل لحظة، يهدى إلى معرفة القدرة الباهرة. يقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٢٧).

ويقول :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٨)

ويقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي (٢٩) سَحَابًا مُمُّ يُؤَلَّفُ (٣٠) يَبْتُهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا (٣١) فَتَرَى الْوَدَّكَ (٣٢) يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا (٣٣) بَرْقُهُ يَذْهَبُ (٣٤) بِالْأَبْصَرِ * يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَرِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٥)

(٢٧) سورة ق آية : ٣٨ — واللغوب : التعب . (٢٨) سورة المؤمنون آية : ٨٠ .

(٢٩) يزجى : يسوق .

(٣٠) يؤلف بينه : يجمعه ليتكف ويتصل بعضه ببعض .

(٣١) ركاماً : مجتمعاً يركب بعضه بعضاً . (٣٢) الودق : المطر .

(٣٣) سنا : اللعان . (٣٤) يذهب : يختطف .

(٣٥) سورة النور الآيات ٤٣ — ٤٥ .

□ الإرادة (٣٦) :

والله سبحانه مرید: أى أنه يختص الشيء الممكن ببعض ما يجوز عليه، فيجعله طويلاً أو قصيراً، حسناً أو قبيحاً، عالماً أو جاهلاً، فى هذا المكان، أو فى غيره، وهو سبحانه له أن يتصرف فى الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته.

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣٧).

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣٨).

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ

وَتُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩).

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ

عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٤٠).

﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤١)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ

عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٤٢).

(٣٦) ليس معنى الإرادة هنا الرغبة أو الميل، وإنما لها معنى خاص.

(٣٧) سورة النحل آية : ٤٠.

(٣٨) سورة القصص آية : ٦٨.

(٣٩) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٤٠) سورة الشورى آية : ٤٩ ، ٥٠.

(٤١) سورة المائدة آية : ٦.

(٤٢) سورة النساء الآيات : ٢٦ ، ٢٧.

□ العلم :

والله عالم بكل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً، سواء منها المعلومات الماضية أو الحاضرة، أو المستقبلية.

وعلم الله لم يسبق بهل، ولا يعتربه نسيان، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان.

وعلمه بالكليات كعلمه بالجزئيات، وما يبدو في الكون من نظام وإتقان وإحكام ما هو إلا برهان ساطع على شمول علمه وكمال حكمته.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ نَلَيْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤٣).

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤٤).

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤٥).

□ الحياة :

والله سبحانه هو الحي، والحياة هي الصفة التي تصحح لموصوفها الأتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر، فلو لم يكن حياً ما ثبتت له هذه الصفات.

وحياة الله حياة كاملة ليس ثم أكمل منها، لا يكتنه كنهها، ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته.

(٤٤) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

(٤٣) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٤٥) سورة يونس آية ٦١ .

وحياته لا يلحقها عدم، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء.

والعالم لا يمكن أن يصدر إلا من حي.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي دُيْمُوتُ ﴾ (٤٦).

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧).

﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ (٤٨).

□ الكلام:

والله سبحانه متكلم، وكلامه ليس بحرف ولا صوت، وقد أثبت الله هذه
الصفة لنفسه، وأنه كلم موسى فقال:

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٤٩).

وقال:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ (٥٠).

وأنه يكلم أنبياءه:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ (٥١).

وأن كلماته لا حصر لها:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ
مَدَدًا ﴾ (٥٢).

(٤٦) سورة الفرقان آية: ٥٨.

(٤٧) سورة غافر آية: ٦٥.

(٤٨) سورة طه آية: ١١١.

(٤٩) سورة النساء آية: ١٦٤.

(٥٠) سورة الأعراف آية: ١٤٣.

(٥١) سورة الشورى آية: ٥١.

(٥٢) سورة الكهف آية: ١٠٩.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفِدْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (٥٣).

وهذه الصفة من صفات الله التي أثبتها لنفسه، فنؤمن بها، ولا نبحث عن حقيقتها؛ لأنها كغيرها من الصفات الإلهية التي لا يمكن الوصول إلى العلم بحقائقها.

□ السمع والبصر:

والله سبحانه سميع يسمع كل شيء، حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة المساء في الليلة الظلماء، دون أن يشغله سماعه جماعة عن سماعه جماعة آخرين، ودون أن يشبهه عليه لغة، أو يؤثر عليه ضجيج، أو يشوش عليه مشوش، وهو سبحانه لا يسمع بجارحة، ولا بألة ولا بأذن، ولا بصماخ.

وقد شكت إحدى النساء زوجها إلى رسول الله ﷺ، وأخذت تجادله. فأنزل

الله سبحانه:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ نَحَّاورُكُمْ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

وكما أن الله يسمع كل شيء، فهو يرى كل شيء رؤية شاملة تستوعب كل المدركات، ورؤيته سبحانه ليست بملققة كما يرى غيره.

وقد أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون، وقال لهما:

﴿ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَآئِنِيَا فِي ذِكْرِي * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِينَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَاتَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٥٤).

وقال:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

(٥٣) سورة لقمان آية: ٢٧.

(٥٤) سورة طه الآيات: ٤٣ - ٤٦.

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا لَوْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥٥).

□ صفات الذات وصفات الأفعال :

صفات الله تعالى منها صفات ذات، وهى الصفات الثبوتية، أو صفات المعانى. وهى صفة الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

وصفات أفعال : مثل صفة الخلق، والرزق، فالخالق، والرازق هو الذى يفعل الخلق، ويمنح الرزق، وقد اتفق العلماء على أن صفات الأفعال غير الذات. وأنها زائدة عليها.

واختلفوا فى صفات الذات : هل هى عين الذات ؟ أى أن الله عالم بالذات. وحى بالذات، وهكذا إلى آخر الصفات الثبوتية، أو أنها صفات زائدة على الذات ؟ أى أنه عالم بعلم، وحى بحياة، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومتكلم بكلام.

ونحن نرى رأى من رأى من العلماء، وأئمة الدين، أن هذا من الدخيل على الإسلام، ومن البدع الطارئة على العقيدة، ومن المنكرات التى يجب على المسلمين أن يتنزهوا عنها؛ فإن ذات الله أجل من أن تتناول على هذا النحو. وهذا النوع من التفكير مما نهينا عنه، ولم يكلفنا الله به؛ لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود. وذات الله فوق الإدراك.

﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥٦)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥٧).

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (٥٨).

(٥٥) سورة غافر الآيات ١٩، ٢٠.

(٥٦) سورة الأنعام آية : ١٠٣.

(٥٧) سورة الشورى آية : ١١.

(٥٨) سورة طه آية : ١١٠.

وتقدم الحديث : [تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى الله فإنكم لن تقدره قدره].

إن كل ما كلفنا به — أن نعلم أن الله موجود، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والكمال المطلق، وما وراء ذلك يجب الإمساك عنه، ولا يحل البحث فيه، فالعلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر.

□ صفات الله أعلام هادية :

وإن علينا أن نسير على هدى هذه الصفات، ونستنير بها، ونتخذها مثلنا الأعلى، ونجعلها غايتنا، حتى نصل إلى أقصى درجات السمو النفسى والارتقاء الروحى.

وقد ألف «حجة الإسلام» الإمام الغزالي رحمه الله كتاب «المقصد الأسمى» شرح فيه أسماء الله الحسنى، وبين حظ المؤمن من كل اسم، فينبغى الرجوع إليه، ونحن نقتبس من كتاب الدين الإسلامى ما يأتى :

فالله رب العالمين: وهذا مثل أعلى يجب على المؤمن أن يحتذى به، فيحسن تربية نفسه، وذوى قرياه، ويعمل على ما فيه الخير والفلاح.

والله تعالى رحمن: ينعم على مخلوقاته، ويظهر لهم حبه، دون أن يؤدوا عملاً يستحقون عليه ذلك، وهذا مثل أعلى يجب على الإنسان التحلى به، فيكون رحماً ببنى جنسه، يفعل الخير ابتغاء وجه ربه، لا رغبة فى اجتلاب نفع، أو خشية من مس ضر.

والله تعالى رحيم: يجازى الإنسان على عمله، وهذا مثل أعلى أيضاً يوجب على الإنسان أن يقابل الإحسان بالإحسان.

والله تعالى مالك يوم الدين: يحاسب الناس على أعمالهم، فيجازى المسيء لاشهوة فى الانتقام، بل بروح التسامح، كما يجب أن يعامل السيد الرحيم مسوده. والوالد ولده، وهذا مثل أعلى آخر يوجب على الإنسان أن يكون متسامحاً وعفوياً فى معاملاته مع الناس.

هذه الصفات الأربع: هى أبرز صفات الله العليا، ومثله العليا، وما يقال عنها يقال عن الصفات الأخرى.

فصفات الحب والرحمة التي هي الرؤف، الودود، التواب، العفو، الشكور، السلام، المؤمن، البار، رفيع الدرجات، الرزاق، الوهاب، الواسع، كلها صفات يجب على الإنسان اتخاذها تبراساً للسير على هداها والتحلى بها كما قدمنا .

وكذلك صفات العلم : التي هي العليم، الحكيم، السميع، البصير، الشهيد، الرقيب، الباطن .

فإنها صفات يجب على الإنسان أن يتبعها : ليبلغ مبلغ العلم والحكمة، وأن الله تعالى جعل الإنسان خليفته فى الأرض حيث قال :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾ (٥٩).

وميزه عن سائر المخلوقات ، فعلمه الأسماء كلها ، قال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۗ ﴾ (٦٠).

وفيا يختص بالحكمة ، فقد أرسل الله رسولا للناس ، ليعلمهم الحكمة ؛ قال تعالى :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِىكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّىكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۗ ﴾ (٦١).

وقال :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِىهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّىهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۗ ﴾ (٦٢).

وقوله :

﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّىهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۗ ﴾ (٦٣)

(٥٩) سورة البقرة آية : ٣٠

(٦٠) سورة البقرة آية : ٣١

(٦١) سورة البقرة آية : ١٥١

(٦٢) سورة آل عمران آية : ١٦٤

(٦٣) سورة الجمعة آية ٢ .

وفيا يختص بصفات الله الدالة على قدرته وتدبيره، فقد أمر الملائكة بالسجود للإنسان، وسخر السماوات والأرض لخدمته ومنفعته، ولهذا يجب على الإنسان أن يتخذ من صفات الله تعالى مثلاً أعلى؛ ليكون أهلاً للقيام بما استخلف عليه، وسخر له ونحن لانعنى أن الإنسان باتخاذ صفات الله مثلاً أعلى يمكنه أن يبلغ درجة الكمال وإنما نعنى أن على الإنسان أن يجعل هذه الصفات رائدة في حياته؛ ليحيا بها حياة طيبة مباركة:

حقيقة الإيمان وثمرته

* مظاهر الإيمان.

* ثماره.

الإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان ونخالقه : ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان .

ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة، وأفضل آلاء الله على الإطلاق .
﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ
لِلْإِيمَانِ ﴾ (١) .

﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَنَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ * فَضَلَّآ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ (٢) .
وليس الإيمان هو مجرد النطق باللسان، واعتقاد بالجنان، إنما هو عقيدة تملأ القلب، وتصدر عنها آثارها، كما تصدر عن الشمس أشعتها، وكما يصدر عن الورد شذاه .

ومن آثاره أن يكون الله ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء، وأن يظهر ذلك في الأموال، والأفعال، والتصرفات، فإن كان ثمة شيء أحب إلى المرء من الله ورسوله فالإيمان مدخول، والعقيدة مهزوزة .

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِّنْهُ اللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

فالحياة بما فيها من الآباء، والأبناء، والأخوة، والأزواج، والعشيرة، والأموال والتجارة، والمسكن .. إن كانت أحب إلى الإنسان من الله ورسوله، فلينتظر عقاب الله للذين شغلوا قلوبهم عنه بغيره .

(١) سورة الحجرات آية : ١٧ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٨ .

(٣) سورة التوبة آية : ٢٤ .

إن الإيمان لا يكمل إلا بالحب الحقيقي، حب الله، وحب رسوله، وحب الشريعة التي أوحاها الله إليه.

ففى الحديث الصحيح «ثلاث من كنَّ فيه، وجد حلاوة الإيمان :

١- أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢- وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله.

٣- وأن يكره أن يعود فى الكفر، كما يكره أن يقذف فى النار».

وقال ﷺ :

[لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، ونفسه التى بين جنبيه، والناس أجمعين].

وجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال : « يا رسول الله : لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى، فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر : والذى بعثك بالحق لأنت أحب إلى من نفسى.

فقال ﷺ : [الآن يا عمر، أى الآن تمَّ إيمانك].

وقال ﷺ :

[لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به].

وكما يتمثل الإيمان فى الحب، يتمثل فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، والكفاح لرفع راية الحق، والنضال لمنع الظلم، والفساد فى الأرض. وكثيراً ما يقترن الإيمان بالجهاد على أنه روحه ومظهره العملى.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٤).

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي

(٤) سورة الحجرات آية : ١٥.

التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِذِيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥﴾ .

ولقد برز هذا الكفاح في الصفة المؤمنة في العهد الأول حتى استحقوا ثناء
الله عليهم .

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴾ ﴿٦﴾ .

وأثر الإيمان يبدو واضحاً في خشية الله والخوف منه ، فإن من عرف الله
وعرف عظمته ، واستشعر جلاله وكبريائه ، وعرف تقصيره في حقه خشيه وخاف
منه .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ﴿٧﴾ .

وهذه سمة أهل الحق القوامين على دين الله .

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْتُونَهُمْ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
حَسِيبًا ﴾ ﴿٨﴾ .

وكلما كانت المعرفة أكمل كانت الخشية أتم .

ويقول الرسول ﷺ :

[إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له] .

وأعظم ما يبدو فيه الإيمان الاستمسك بالوحي ، لأنه المنبع الصافي الذي لم
يحتلط بشائبة الهوى ، أو آفة الظنون .

واستمسك بالوحي ، إنما هو اتصال بالله ، وأخذ عنه مباشرة بدون توسط .
وسطاء ، وهذا هو أسمى أنواع الاتصال .

(٥) سورة التوبة آية : ١١١ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

(٧) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٩ .

والمؤمنون عامة يتجهون هذا الإتجاه، حتى لا يلتبس الحق الذين يؤمنون به
بالباطل الذى صنمته عقول الناس وأفهامهم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَاطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي وَتَقَهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٩) .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (١٠) .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١١) .

والإيمان ينشئ علاقات مختلفة .

فهو يربط بين المؤمنين وبين الله، برباط المودة، والمحبة، ويقم العلاقة بين المؤمنين
بعضهم مع بعض، على أساس من الشفقة والرحمة .

ويقم العلاقة بين المؤمنين، وبين أعداء الله، الصادقين عن الحق على أساس
من الغلظة والقسوة .

﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَتْدِ مَنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ
أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢) .

وقد تجلت هذه الصفات فى الرسول وصحابته :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

(٩) سورة النور آية : ٥١ - ٥٢ .

(١٠) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .

(١١) سورة النساء آية : ٦٥ .

(١٢) سورة المائدة آية : ٥٤ .

يَتَّغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
 عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ .

والعمل الصالح الذى تزكو به النفس ؛ ويطهر به القلب، وتعمر به الحياة أثر
 من آثار الإيمان .

ولهذا يأتى الإيمان فى الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح ؛ لأن الإيمان إذا
 تجرد عن العمل كان إيماناً عقيماً، وكان كالشجرة التى لا تثمر ثمراً، ولا تمد
 ظللاً . فهى بالقطع أولى منها بالبقاء .

والعمل إذا خلا عن الإيمان، كان رياء ونفاقاً . والنفاق والرياء هما شر
 ما يصاب به الإنسان .

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١٤) .

إن الإيمان بهذا المعنى، هو الإيمان القرآنى، وهو الإيمان الذى أراده الله
 لعباده .

وإذا تحقق فإنه يتحول إلى قوة إيجابية فى الحياة، وهو الذى يحول الضعف
 إلى قوة، والهزيمة إلى نصر، واليأس إلى أمل، والأمل إلى عمل .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
 الْأَشْهَادُ ﴾ (١٥) .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦) .

(١٣) سورة الفتح آية ٢٩ .

(١٤) سورة العصر .

(١٥) سورة غافر آية : ٥١ .

(١٦) سورة الروم آية ٤٧ .

□ ثمار الإيمان :

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب — أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة، وتركت في نفسه آثاراً طيبة، ووجهت سلوكه وجهة الخير والحق، والسمو والجمال .
وهذه الثمار نجمل بعضها فيما يلي :

(أ) تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضى الإقرار بأن الله هو المحيى المميت، الخافض، الرافع، الضار، النافع .

﴿ قُلْ لَا أَمَلُكَ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧).

إن الذى عوق البشرية عن النهوض، وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع للاستبداد، سواء أكان هذا الاستبداد سياسياً للحكام والرؤساء، أم استبداداً كهنوتياً لرجال الدين والكهنوت .

وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة، قضى على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التى لازمته قروناً طويلاً .

(ب) والإيمان يبعث فى النفس واحتقار الموت والرغبة فى الاستشهاد من أجل الحق .

إن إذ الإيمان يوحى بأن واهب العمر هو الله، وأنه لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالأحجام، فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب .. !

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا ﴿ (١٨) .
﴿ وَيَطَافَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ

(١٧) سورة الأعراف آية : ١٨٨ .

(١٨) سورة آل عمران آية : ١٤٥ .

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٩﴾
 ﴿٢٠﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴿٢١﴾ .

(ج) والإيمان يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره .
 ﴿٢٢﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ .

﴿٢٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَافٍ بِهَا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ .

﴿٢٦﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ﴿٢٧﴾
 وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تحلص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشه، والطمع، واتصف بفضيلة الجود، والبذل، والسخاء، والأثفة والعفة، وكان إنساناً مأمول الخير مأمون الشر.

(د) والطمأنينة أثر من آثار الإيمان : أى طمأنينة القلب، وسكينة النفس .
 ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٩﴾
 ﴿٣٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴿٣١﴾ .
 وإذا اطمان القلب، وسكنت النفس - شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة

(١٩) سورة آل عمران آية : ١٥٤ .

(٢٠) سورة النساء آية : ٧٨ .

(٢١) سورة هود آية : ٦ .

(٢٢) سورة العنكبوت آية : ٦٠ .

(٢٣) سورة العنكبوت آية : ٦٢ .

(٢٤) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٢٥) سورة الفتح آية : ٤ .

اليقين، واحتل الأهوال بشجاعة، وثبت إزاء الخطوب مها اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه، وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع، ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦).

(هـ) والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو الله مصدر الخير، والبر، والكمال.

وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائد الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة فى النزاهة والشرف، وتحقيق القيم الصالحة.. ومن ثم يتجه المرء اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه، وخير أمته، وخير الناس جميعاً.

وهذا هو السر فى اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان إذ أنه الأصل الذى تصدر عنه، وتتفرع منه.

﴿ إِنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَهْدٍ مُّهِمٍّ يُرِيدُهُمْ بَأْيَمِينِنَا ﴾ (٢٧).

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٨).

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ (٢٩).

وإذا اهتدى القلب، فأى شىء من الخير يفوته !؟

(و) والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الآخرة.

وتتمثل هذه الحياة فى ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه

(٢٦) سورة البقرة آية : ٢٥٧.

(٢٧) سورة يونس آية : ٩.

(٢٨) سورة الحج آية : ٥٤.

(٢٩) سورة التباين آية : ١١.

ما يبييت له ، وأخذته بيده كلما عثر، أو زلت به قدم ، فضلاً عما يفيضه عليه من متاع مادي . يكون عوناً له على قطع مرحلة الحياة في يسر .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣٠) .

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣١) .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٣٢) .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٣٣) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرِكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣٤) .

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لِمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥) .

(٣٠) سورة النحل آية : ٩٧ .

(٣١) سورة النحل : آية ٣٠ .

(٣٢) سورة النور آية : ٥٥ .

(٣٣) سورة غافر آية : ٥١ .

(٣٤) سورة الأعراف آية : ٩٦ .

(٣٥) سورة يونس آية : ٩٨ .

وقد انتهى العالم إلى هذه الحقائق الإيمانية ؛ ولا يتسع المجال لإثبات شهادات كبار العلماء، وتسجيل مشاهدوه.

ونكتفى هنا بتسجيل ما نشر بجريدة الجمهورية يوم السبت ١٩٦٢/١١/٢٩ قالت الصحيفة تحت عنوان: «العلماء يلجأون إلى الدين لعلاج مرضى الأمراض العقلية».

عزاء وسلوان لأولئك الذين تشبثوا بدينهم، ولم يتزعزع إيمانهم فى أحلك لحظات المدينة وأنصعها، أقصد تلك اللحظات التى يتشدد فيها دعاة النظريات العتيدة، وفى مقدمتها نظرية النشوء والارتقاء «لداروين» ويتشددون فيها بأن الدين بدعة، وبأن الإنسان يقف وحده فى هذا الكون، كما زعم «جولييان هاكسلى» جد الكاتب الفيلسوف البريطانى الكبير «الدوسى هاكسلى».

إن علماء الأمراض العقلية، لا يجدون اليوم سلاحاً أمضى، وأبعد فاعلية لعلاج مرضاهم من الدين والإيمان بالله والتطلع إلى رحمة السماء.. والتشبث بالرعاية الإلهية.. والالتجاء إلى قوة الخالق المائلة عندما يتضح عجز كل قوة سواه..!

لقد بدأت التجربة فى مستشفى بولاية نيويورك، وهو مستشفى خاص بمرتكبى الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية.

بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ، والعقاقير المسكنة والمهدئة للأعصاب.

وكانت النتيجة رائعة.. إن أولئك الذين تعذر شفاؤهم. بل فقدوا الأمل فيه انتقلوا من عالم المجانين إلى عالم العقلاء.. أولئك الذين ارتكبوا أفظع الجرائم، وهم مسلوبو الإرادة. باتوا يسيطرون على إرادتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم، ويذرفون الدمع ندماً، وكلهم أمل فى رحمة السماء ومغفرة الله.

واستسلم العلماء، ورفعوا أيديهم إلى السماء، يعترفون بضعفهم، ويعلمون للدنيا أن العلم يدعو إلى الإيمان. وليس أبدأ إلى الإلحاد.

وأنت طبعاً لست فى حاجة لأكثر من الإمام بالقراءة، وحتى إذا كان قد فاتك قطار التعليم فأمامك بيوت الله، وفيها السلوى.. وفيها العزاء.

القدر

- * الله فاعل مختار .
- * معنى القدر .
- * وجوب الإيمان بالقدر .
- * حرية الإنسان .
- * الإسلام يقرر حرية الإرادة.
- * بين مشيئة الرب ومشية العبد .
- * الهداية والضلال.

□ الله فاعل مختار:

الله سبحانه مالك الملك، يتصرف فيه بمقتضى حكمته ومشئته، وكل تصرف منه إنما يجرى وفق مشئته التي وضعها في الكون وقوانينه المضطردة في الوجود.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (١).

وهو سبحانه لا يجب عليه شيء، ولا يتصرف من أجل أحد.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢).

أى أن الله أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول في الناس: إن الله سبحانه مالك الملك الحق، يعطي الملك لمن يشاء، وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن الله في العطاء والأخذ، ويعز من يشاء بالتوفيق لأسباب العز، ويذل من يشاء بالخذلان.

وإنه سبحانه بيده الأمور كلها خيرا وشرها، فهو يعطي ويمنع: ويعز ويذل وينفع ويضر، لأنه القادر على كل شيء.. ومن مظاهر قدرته ما يشاهد في الكون من إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وأنه يفيض الرزق على من يشاء بغير حساب، ولا رقابة؛ لأن الأمر كله له وحده لا شريك له.

وهو الفاعل المختار.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (٣).

فهو يخلق ويختار من خلقه ما يشاء؛ لأنه المتصرف المطلق، وما كان لأحد الاختيار معه.

(١) سورة الرعد آية: ٨.

(٢) سورة آل عمران: ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة القصص آية: ٦٨.

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤).

فهو سبحانه يتصرف في ملكه كيفما شاء بمقتضى الحكمة والرحمة .

فإذا مس الإنسان ضرر، فلا يكشفه إلا الله، وإذا أراد الله خيراً له، فلا يستطيع أحد رده عنه .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۗ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥).

﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦).

فلك السموات والأرض له وحده . وما يبديه الإنسان ويظهره، أو يخفيه، ويكنه من النوايا والإرادات والعزائم والمقاصد يحاسبه به الله إن خيراً فخير، وأن شراً فشر، وهو يغفر لمن يشاء أن يغفر لهم . وقد بين سبحانه من يشاء لهم الغفران في قوله :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٧).

فغفرة الله لمن رجع إلى الله بالتوبة النصوح؛ وجدّد إيمانه بالله، وعمل العمل الصالح الذي يذهب بالسيئات، وبلغ منزلة الهداية التي يطمئن فيها القلب بالحق واليقين، كما أن عذابه سبحانه ينزل بالعصاة المستحقين له بمقتضى عدله وجزاء كل بعمله .

والإيمان بهذا جزء من الإيمان بالله، ويتفرع عنه الإيمان بالقدر.

(٤) سورة يونس آية : ١٠٧

(٥) سورة فاطر آية : ٢

(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٤

(٧) سورة طه آية : ٨٢

□ معنى القدر:

جاء في القرآن الكريم ذكر القدر مراراً:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٨).

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ ﴾ (٩).

﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ﴾ (١٠).

والذي يؤخذ من مجموع هذه الآيات أن المقصود بالقدر: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها.

وعرفه النووي فقال: إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم — سبحانه — أنها مستقع في أوقات معلومة عنده — سبحانه وتعالى — وعلى صفات مخصوصة. فهي تقع حسب ما قدرها.

□ وجوب الإيمان به:

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أن الإيمان بالقدر جزء من العقيدة، ويكون المعنى أن الله خلق التوأميس والقوانين والنظم التي وضعها لهذا الوجود، وأن الأشياء تجري وتلدور حسب هذه النظم والسنن والقوانين.

﴿ وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١١).

(٨) سورة الرعد آية ٨.

(٩) سورة الحجر آية: ٢١.

(١٠) سورة القمر آية: ٤٩.

(١١) سورة يس آية: ٣٧.

ويكون الإيمان بالقدر جزءاً من عقيدة المسلم ، وليس فيه معنى الإجبار.. قال الخطابي : «قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه .. وليس الأمر كما يتوهمون . وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه تعالى، وخلقها لها . خيرها وشرها .. والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر» .

وعلم الله سبحانه بما سيقع ، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له في إرادة العبد، فإن العلم صفة انكشاف لصفة تأثير. فثلاً علم الإنسان بأن ابنه ذكي مقبل على دروسه ومستوعب لما حفظا وفهما ليس له تأثير في نجاحه .

□ حكمة الإيمان بالقدر:

وحكمة ذلك : أن تنطلق قوى الإنسان وطاقاته لتعرف هذه السنن ، وتلدرك هذه القوانين ، وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير، وفي استخراج كنوز الأرض والانتفاع بما أودع في الكون من خيرات .

وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية في الحياة كما أن الإيمان بالقدر يربط الإنسان برب هذا الوجود، فيرفع من نفسه إلى معالي الأمور: من الإباء والشجاعة والقوة من أجل إحقاق الحق، والقيام بالواجب .

والإيمان بالقدر يُرى الإنسان أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة عليا، فإذا مسه الضر فإنه لا يجزع، وإذا صادفه التوفيق والنجاح فإنه لا يفرح ولا يبطر، وإذا برىء الإنسان من الجزع عند الاخفاق والفشل، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنجاح — كان إنساناً سوياً متزناً، بالغ منتهى السمو والرفعة ، وهذا هو معنى قول الله سبحانه :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٢) .

هذا ما ينبغي أن نفهمه من القدر. وهو مقتضى فهم الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وفهم أصحابه رضى الله عنهم أجمعين.

وقد دخل رسول الله يوماً على الإمام غلى كرم الله وجهه بعد صلاة العشاء، فوجهه قد بكر بالنوم، فقال له:

هَلَا قُمتَ من اللَّيْلِ؟ فقال: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، إن شاء بسطها، وإن شاء قبضها، فنصب رسول الله ﷺ، وخرج وهو يضرب على فخذه ويقول: [وكانَ الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جدلاً].

وسرق أحد اللصوص، فلما حضر بين يدي عمر رضى الله عنه، سأله لِمَ سرقت؟ فقال قدر الله ذلك، فقال عمر رضى الله عنه اضربوه ثلاثين سوطاً، ثم اقطعوا يده، فقيل له: ولم؟ فقال: يقطع لسرقته، ويضرب لكذبه على الله.

إن القدر لا يتخذ سبيلاً إلى التواكل، ولا ذريعة إلى المعاصى، ولا طريقاً إلى القول بالجبر، وإنما يجب أن يتخذ سبيلاً إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال. إن القدر يُدفعُ بالقدر، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل، وقدر الظمأ بقدر الرىِّ وقدر المرض بقدر العلاج والصحة، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل.

ويذكر أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنها حينما فرَّ من الطاعون: أتفر من قدر الله، قال: نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله. أى يفر من قدر المرض والوباء إلى قدر الصحة والعافية، ثم ضرب له مثلاً بالأرض الجدباء، والأرض الخصبة، وأنه إذا انتقل من الأرض الجدباء إلى الأرض الخصبة لترعى فيها إبله، فإنه ينتقل من قدر إلى قدر.

لقد كان يمكن للرسول وصحابته أن يستكينوا كما يستكين الضعفاء الواهنون، معللين أنفسهم بالفهم المغلوط الذى يتعلل به الفاشلون، ولكنه جاء يكشف عن وجه الصواب فلم يهن، ولم يضعف، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى، ملتزماً سنة الله فى نصره لعباده.

فقاوم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، وقاوم الكفر والمعاصى بالجهاد، وكان يستعيز بالله من الهم والحزن. والعجز والكسل.

وما غزواته المظفرة إلا مظهر من مظاهر إرادته العليا التي تجرى حسب مشيئة الله وقدره .

وقد حذر رسول الله ﷺ من أن يفهم فهماً خاطئاً، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ .

فقد روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : [يكون فى آخر الزمان قوم يعملون المعاصى ، ثم يقولون : الله قدرها علينا . الرأى عليهم يومئذ كالشاهر سيفه فى سبيل الله .]

هذا هو القدر الذى ينبغى أن نعرفه عن القدر وما وراء هذه المعرفة عنه فلا يحل لنا البحث فيه ولا التنازع فى شأنه ؛ فإن هذا من أسرار الله التى لا تحيط بها العقول ، ولا تدركها الأفكار .

فمن أبى هريرة رضى الله عنه قال : [خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، وقال : أ بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمتم عليكم ألا تنازعوا فيه] .

وفى هذا يقول رضى الله عنه لمن سأله فى مثل هذا : طريق مظلم لانسلكه ، كرر عليه السؤال فقال : بجر عميق لا تمجه ، كرر عليه السؤال فقال : سر الله قد خفى عليك فلا تقفه .. فتل هذا النهى إنما ينصب على السؤال عن نظام الله فى الحياة والموت . وبسط الرزق وضيقة وهكذا ، لا على الكلام فى القدر نفسه .

□ حرية الإنسان :

منذ أقدم العصور أخذ الإنسان يفكر فى نفسه ، وفى الكون المحيط به ، وكانت حرية الإنسان إحدى القضايا التى تناولها عقله ، وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيره ، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة ، ولا يزال اهتمامهم بها اهتماماً بالغاً ، إذ أنها قضية تتعلق بحياة الإنسان ، وتتصل بمصيره ، فهو يبحث فيها ، ويكد ، ويجد فى البحث علماً يهتدى إلى الحل الصحيح ، كى يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذى يهتدى إليه .

ويدهى أن الإنسان حينما حال الكشف عن وجه الصواب في هذه القضية وأراد البحث فيها لم يجعل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن إرادته واختياره ككونه أبيض، أو أسود، وككونه وُلد من هذا الوالد، أو ذلك. وكنبضات قلبه، وتنفسه وجريان الدم في عروقه، فإن هذه الأشياء خارجة عن نطاق البحث، لأن الإنسان لا اختيار له فيها، وهي غير خاضعة لإرادته.

وإنما اتجه الإنسان وهو بصدد البحث في هذه القضية إلى الأعمال الإرادية التي تدخل في نطاق الإرادة والاختيار، وملى حرته في ممارسة هذه الأعمال مثل خروجه من البيت، واتخاذ طعاماً معيناً، ولبسه نوعاً من الملابس، وتفضيله لوناً من العلم، أو الكتابة، وممارسته حرفة من الحرف، وزيارته لغيره، وهكذا في كل عمل من الأعمال الاختيارية.

وقد اختلفت الأنظار، وتضاربت الأفكار تضارباً كادت تضيع معه معالم الحق.

فن قائل: بأن الإنسان مسيرٌ (١٣) غير مخير، ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياري، وأنه كالريشة في مهب الريح تتقاذفها ذات اليمين، وذات الشمال. ومن قائل بأن الإنسان مخيرٌ (١٤) غير مسير، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بحض إرادته ومشئته.

ومن قائل: بأن الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب (١٥) — أى أن الله يخلق الشيء عند مباشرته، أى أن الله يخلق الشبع عند الأكل، ويخلق المعرفة عند الدراسة وهكذا وليس للعبد إلا الكسب، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب والمدح والذم.

والذي نراه في هذه القضية، ونختاره هو ما قرره الإسلام فيما يلي:

□ تقرير الإسلام حرية الإرادة:

قرر الإسلام أن الإنسان خلق مزوداً بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى

(١٣) هنا منهب الجبرية.

(١٤) منهب المعتزلة والإمامية.

(١٥) رأى الأشاعرة.

يمكن أن توجه إلى الخير، كما يمكن أن توجه إلى الشر، فهي ليست خيراً محضاً، ولا شراً محضاً، وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينها تفاوت لا يعلمه إلا الله، وفي الحديث الصحيح .

[كل مولود يولد على الفطرة] .

وفي الحديث أيضاً: [الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ..] .

ويؤيد هذا قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (١٦).

أى أن الله خلق النفس مسواةً ومعادلةً قابلةً للتقوى والفجور، ومستعدة للخير والشر.

والله سبحانه زود الإنسان بالعقل الذي يميزه بين الحق والباطل في العقائد، وبين الخير والشر في الأفعال، وبين الصدق والكذب في الأقوال .

وأعطاه القدر التي يستطيع بها أن يحق الحق، ويبطل الباطل، وأن يأتي الخير ويدع الشر، وأن يقول الصدق، ويمتنع الكذب، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب، وبما أرسل من رسل، وما دام العقل المميز موجوداً، - والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، فقد ثبت للإنسان حرية الإرادة، واختيار الفعل .

وعلى الإنسان أن يوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق، أو باطل، ومن خير، أو شر، ومن صدق، أو كذب .

وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١٧).

أى هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق،

(١٦) سورة الشمس آية: ٧ - ٨ .

(١٧) سورة الإنسان آية: ٣ .

والكذب، فهو إما أن يسلك السبيل الأهدى، فيكون شاكراً، أو الطريق المعوج فيكون كفوراً.

وفي هذا المعنى أيضاً يقول القرآن الكريم:

﴿ وَهَدَيْتَهُ الْتَجْلِينَ ﴾ (١٨). أى الطريقين.

وكل إنسان مسئول عن تهذيب نفسه، وإصلاحها حتى تصل إلى كما لها المقدر لها، فإن إصلاحها وتركيتها وتمييتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله، والقرب من مشاهدة جلاله وجماله، كما أن إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ (١٩).

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (٢٠).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٢١).

﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِنَّمَا لَكُمْ رَهِينٌ ﴾ (٢٢).

والآيات التي تقرر حرية الإنسان كثيرة جداً، منها قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢٣).

فأسند العمل الصالح والعمل السيء إلى الإنسان، ولو لم يكن الإنسان حراً ما أسند إليه الفعل.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله سبحانه:

(١٨) سورة البلد آية: ١٠.

(١٩) سورة الشمس آية: ٩ - ١٠.

(٢٠) سورة القيامة آية: ١٤.

(٢١) سورة المدثر آية: ٣٨.

(٢٢) سورة الطور آية: ٢١.

(٢٣) سورة فصلت آية: ٤٦.

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٢٤)
 أى أن الشرور التى تعرض للإنسان إنما هى أثر من آثار عمله ونتاج اختياره
 وتصرفه .

وإن القرآن ليتحدث عن المقاسد والجرائم التى تحيط بالناس ، فيبين أنها ليست من
 صنع الله ، وإنما هى من عمل البشر .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
 عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٥) .

وهذا الذى يُقرُّه القرآن هو ما يشعر به الإنسان من نفسه ، فهو يشعر بأنه يمارس
 أعماله الإرادية بمحض إرادته واختياره ، فهو يفعل منها ما يشاء ، ويدع منها ما يشاء ، وهو
 إذا فعل منها ما هو نافع استحق المدح ، وإذا فعل ما هو ضار استوجب النّم ، فلو لم يكن
 مختاراً لما توجه إليه المدح على فعل ما هو نافع ، ولما توجه له النّم على فعل ما هو ضار .

بل لو لم يكن الإنسان مختاراً لما كان ثمة فرق بين المحسن والمسيء ؛ إذ أن كلا منها
 مُجبرٌ على ما يفعله ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ إذ لا فائدة لهما حيث إن
 الإنسان مسلوب الإرادة ، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد ؛ لأن تكليفه إياهم مع
 سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذى يتنزه الله عنه ، ويكون الأمر كما قال القائل :

ألقاه فى أليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلّ بالماء

بل لو كان الإنسان مُسيئاً لضاعت فائدة القوانين ، ولبطل الجزاء من الثواب
 والعقاب .

وقد أراد المشركون أن يَخْتَجُّوا بمشية الله على شركهم . وأنه لو لم يشأ أن
 يكونوا مشركين لما كانوا كذلك ، فأبطل الله حجّتهم ودَحَّضَهَا بقوله :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۗ

(٢٤) سورة الشورى آية : ٣٠ .

(٢٥) سورة الروم آية : ٤١ .

كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٦﴾.

فالقرآن يرد على المشركين من وجهين:

الأول: أن الله أذاق الكافرين الأول بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم، والكفر والشرك لما غضبهم الله، لأن الله عادل لا يظلم مثقال ذرة.

والوجه الثاني: أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله، وجاهل بدينه، وأنهم ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه، ويرجع إليه، وإنما كفرهم هذا تمرد على دينه وافتيات على الحق الذي أنزله على ألسنة الرسل.

وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها، وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتاجون بها، فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة، ولا ينهض بها دليل.

وبذلك قامت حجة الله البالغة على هؤلاء، ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية، وإذن فلن يكونوا حينئذ من البشر، لأن البشر فطر على الحرية والاختيار.

□ مشيئة الرب ومشية العبد:

وقد يقال: إذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار فما معنى قوله:

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٧)

فنقول: معناها أن الإنسان لا يشاء شيئاً إلا إذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته، فمشيئة البشر ليست مشيئة مستقلة عن مشيئة الله، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين: طريق الهداية، أو طريق الضلالة.

(٢٦) سورة الأنعام آية: ١٤٨.

(٢٧) سورة التكاوير آية: ٢٩.

فإذا اختار الطريق الأول، ففي نطاق المشيئة الإلهية، وإذا اختار الطريق الثاني ففي نطاقها أيضاً.

وكل الآيات التي جاءت على هذا النحو فعنها لا يتعدى ما ذكرناه.

□ الهداية والإضلال :

وقد يقال أيضاً : لقد جاء في القرآن الكريم :

﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢٨).

أى أن الله يضل من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته، وإذا كان الله يضل ويهدي فليس للعبد حرية الاختيار، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لتقدمات، ومسببات لأسباب.

فكما أن الطعام يغذى، والماء يروى، والسكين تقطع، والنار تحرق.

فكذلك هناك أسباب توصل إلى الهداية، وأسباب توصل إلى الضلال.

فالهداية إنما هي ثمار عمل صالح.

والضلال إنما هو نتائج عمل قبيح.

فإسناد الهداية والإضلال إلى الله من حيث إنه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال أو الهداية.

وحيثما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بيناً وواضحاً، لاليس فيه ولا غموض فالله يقول :

﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ (٢٩).

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣٠).

(٢٨) سورة النحل آية : ٩٣.

(٢٩) سورة الرعد آية : ٢٧.

(٣٠) سورة العنكبوت آية : ٦٩.

﴿ وَالَّذِينَ آهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآهَانَهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٣١).

فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل الصالح، إنما هي ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى الله، واستمسك بإرشاده ووحيه.

ويقول القرآن الكريم فى الإضلال :

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٢).

﴿ يَشِدُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٣٣).

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣٤).

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣٥).

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣٦).

﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣٧).

فترى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيف، والخروج عن تعاليم الله. والكبر، والجبروت، والتعالى على الناس بغير حق، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، والفساد فى الأرض، والكفر واقتراف الآثام :

(٣١) سورة محمد آية : ١٧ .

(٣٢) سورة البقرة آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٣٣) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(٣٤) سورة غافر آية : ٣٥ .

(٣٥) سورة الصف آية : ٥ .

(٣٦) سورة المطففين آية : ١٤ .

(٣٧) سورة النساء آية : ١٥٥ .

فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس، وأخرجتهم عن منبج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى، واستحبوا الظلام على النور، فكان أن كافأهم الله فأصمهم، وأعمى أبصارهم بمقتضى نظامه فى ارتباط الأسباب بمسبباتها.

وهذا ونحوه كثير فى كتاب الله، ومنه:

﴿ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٣٨﴾ .

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق.

فقلوبهم غلف لاتعقل عن الله وحيه، وعيونهم عمى لاترى الله فى ملكوته، وآذانهم صم لاتسمع آيات الله، فهم مثل الأنعام التى لاتنتفع بجواسمها الظاهرة والباطنة، بل أضل من الأنعام إذ الأنعام لم تزود بما زُود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية.

الملائكة

- * من هم الملائكة؟
- * مم خلقوا؟
- * فضل البشر على الملائكة.
- * طبيعتهم.
- * تفاوتهم.
- * عملهم فى عالم الأرواح.
- * عملهم فى عالم الطبيعة.
- * الإيمان بهم.

الملا الأعلى، أو الملائكة عالم لطيف غيبى غير محسوس، ليس لهم وجود جسمانى يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التى لا يعلم حقيقتها إلا الله.

وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرءون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا.

والملائكة: ليسوا كالبشر يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتصفون بالذكورة، أو الأنوثة، وإنما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية، فقد جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً فى صورة بشرية:

﴿ وَأذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَا كَانَتْ شَرِيفًا * فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (١).

ودخلت جماعة منهم على سيدنا إبراهيم فى صورة آدميين يحملون إليه البشرى وظنهم ضيوفاً فقدم إليهم الطعام:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا (٢) إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٣) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ (٤) وَأَوَّجَسَ (٥) مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتَّ (٦) فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ

(١) سورة مريم آية ١٦ - ١٧.

(٢) أى الملائكة.

(٣) مشوى على الحجارة المحماة بالنار.

(٤) وجد منهم غير ما يعرف.

(٥) شعر بالخوف منهم.

(٦) سرورا وفرحا بالبشرى.

* قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
جَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧﴾ .

□ مم خلقوا؟

والملائكة خلقهم الله من نور، كما خلق آدم من طين، وكما خلق الجن من نار. روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: [خُلِقَتِ الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم].

ومسكنهم السماء، وينزلون منها بأمر الله.

روى أحمد والبخارى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: [ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَازِينٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٨)].

وخلقهم متقدم على خلق الإنسان، وقد أخبرهم الله بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩).

□ البشر أفضل منهم:

والظاهر أن البشر أفضل من الملائكة، كما هو واضح في عجزهم عن الإجابة على الأسئلة التي عرضها الله عليهم، بينما أجاب آدم إجابة صحيحة، فشفق العلم الذي خصه الله به وامتاز عليهم في معرفة الأشياء وإدراكها.

(٧) سورة هود آية: ٦٩ - ٧٣.

(٨) سورة مريم آية: ٦٤.

(٩) سورة البقرة آية: ٣٠.

وكذلك فى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ما يفيد تفضيله عليهم .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنثِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَنْعَلِمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠) .

ومن جانب آخر، نرى أن طاعة الملائكة جلية ، وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة ؛ لأنه لاشهوة لهم .

فأى فضل لهم فى الطاعة ، وترك العصيان مع أن ذلك يقع منهم وقوعاً اضطرارياً كما ينبض القلب ، ويجرى الدم ، وتتنفس الرئتان بينا الإنسان يجاهد النفس ، ويصارع الهوى ، ويحارب الشيطان ، ويتكلف الطاعة ، ويسعى جاهداً فى تكميل نفسه ، وترقية روحه رغباً ورهباً .

□ طبيعتهم :

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته ، والقيام بأوامره ، وهم يتصرفون فى شئون العالم بإرادة الله ومشئته ، وهو سبحانه يديرهم ملكه . وهم لا يقدرّون على شىء من تلقاء أنفسهم :

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١١) .

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسَبِّحُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ

(١٠) سورة البقرة آية : ٣١ - ٣٤ .

(١١) سورة النحل آية : ٥٠ .

وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١٢﴾ .

﴿ لَا يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١٣) .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً (١٤) لقوله كأنه صلصلة (١٥) على صفوان فإذا فرغ (١٦) عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال الحق ، وهو العلى الكبير » .

□ تفاوتهم :

وهم يتفاوتون فى الخلق ، كما يتفاوتون فى الأقدار تفاوتاً لا يعلمه إلا الله :
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) .

أى أن الله جعل الملائكة أصحاب أجنحة (١٨) فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من يزيد على ذلك ، وهذا مظهر التفاوت فى الأقدار عند الله والقدرة على الانتقال .
روى مسلم عن ابن مسعود « أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح » .

وكثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة فى تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسالته .
﴿ وَمَا مِمَّنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ (٢٠)

(١٢) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(١٣) سورة التحريم آية : ٦ .

(١٤) خضعاناً مصدر أى خضعت خضوعاً .

(١٥) الصلصلة : الصوت المتدارك الذى يسمع ولا يثبت أو ما يقرع السمع حتى يفهم بعد ، والصفوان : الحجر الأملس .

(١٦) فرغ : انكشف الفزع .

(١٧) سورة فاطر آية : ١ .

(١٨) هذا من الغيب الذى تؤمن به ولا تبحث عنه لأننا لم نكلف العلم به ولم يجبرنا المعصوم عنه .

(١٩) أى نقف صفوفاً فى الطاعة .

(٢٠) أى نصطف فنسبح الرب ونجده ، ونقلسه ونزهره عن النقائص فنحن عبيد له ، فقراء إليه ، خاضعون إليه . سورة الصافات آية : ١٦٥ .

قال ابن كثير: وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السموات، ومقامات العبادات لا يتجاوزها، ولا يتعداه.

وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن ابن العلاء ابن سعد عن أبيه، وكان ممن بايع يوم الفتح إن رسول الله ﷺ قال يوماً لجلسائه:

« أَقَلَّتْ السَّاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلِكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، ثُمَّ قَرَأَ:

﴿ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴾ (٢١) □ عملهم:

وللملائكة عمل في عالم الأرواح، وعمل في عالم الطبيعة، ولهم صلة خاصة بالإنسان.

□ عملهم الروحي:

فعملهم في عالم الأرواح يتلخص فيما يلي:

(أ) التسبيح والخضوع التام لله:

﴿ إِن الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (٢٢)

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (٢٣). (ب) حمل العرش:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (٢٤).

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ (٢٥).

(ج) التسليم على أهل الجنة:

(٢١) سورة الصافات آية: ١٦٤، ١٦٦.

(٢٢) سورة الأعراف آية: ٢٠٦.

(٢٣) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٢٤) سورة غافر آية: ٧.

(٢٥) سورة الحاقة آية: ١٧.

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾

(د) تعذيب أهل النار:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢٧)

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقَى وَلَا نَذْرٌ * لَوْحَةٌ لِّلْبَشْرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا

جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ (٢٨).

□ النزول بالوحي :

وملك الوحي ، هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (٢٩).

ويسمى — الروح الأمين — قال الله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴾ (٣٠).

ويسمى روح القدس ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣١).

ويسمى أيضاً بالناموس ، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله في أول عهده

بالوحي لقد جاءك الناموس الذي نزل الله على موسى .

ويأتى جبريل أحياناً في صورة بشر ، وأحياناً في مثل صلصلة (٣٢) الجرس .

(٢٦) سورة الرعد آية ٢٣ ، ٢٤ .

(٢٧) سورة التحريم آية : ٦ .

(٢٨) سورة المدثر آية : ٢٧ — ٣١ .

(٢٩) سورة البقرة آية : ٩٧ .

(٣٠) سورة الشعراء آية : ١٩٣ — ١٩٤ .

(٣١) سورة النحل آية : ١٠٢ .

(٣٢) أى أن صوته يشبه الصلصلة وهو الرنين المتتابع .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل الرسول ﷺ، فقال يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال:

«أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علىّ، فيفصم (٣٣) عنى وقد وعيت عنه (٣٤) ما قال:

وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى مايقول»:

قالت عائشة رضى الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

وفى الحديث الذى أخرجه ابن أبى دنيا، والحاكم عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال:

[إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها؛ فاتقوا الله وأجلوا فى الطلب].

□ عملهم فى الطبيعة ومع الإنسان:

وللملائكة عمل فى تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنتظار التى لا تقع تحت الحواس.

وهم يلازمون الإنسان فى حياته كلها، وبعد مماته، يقول الرسول ﷺ:

[إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرمواهم].

□ تنشيط القوى الروحية الكائنة فى الإنسان بإلهام الحق والخـ:

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(٣٣) يفصم: يقلع.

(٣٤) وعيت: حفظت؛ إنفا كانت الحالة الأولى أشد لأنها: انسلاخ من البشرية واتصال بالروحانية؛ وكانت الثانية أخف، لأنها انتقال ملك الوحي من الروحانية إلى البشرية.

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لِمَةً (٣٥) بَابِنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لِمَةً، فَأَمَّا لِمَةُ الشَّيْطَانِ، فَيُعَادِ
بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبِ الْحَقِّ، وَأَمَّا لِمَةُ الْمَلِكِ، فَيُعَادِ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ
مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَلِيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ
مِنَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ قَرَأَ:

﴿ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلاً ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٦).

□ دعاء الملائكة للمؤمنين :

والله سبحانه لسعة مغفرته، ولحبه لعباده، يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه
بالدعاء، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء، وعلمه الذي وسع كل شيء،
أن يغفر للتائبين، ويدخلهم في عباده الصالحين :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣٧).

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

[ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان، يقول أحدهما: اللهم
أعط ممسكاً تلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً] .

□ تأمّنهم مع المصلين :

والملائكة تؤمن مع المصلين، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

(٣٥) اللمة كهمة : الخطرة بالقلب . لمة الشيطان وسوسته بالسوء، ولة الملك وحيه بالخير.

(٣٦) سورة البقرة آية : ٢٦٨ .

(٣٧) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

[إذا قال الإمام « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فقولوا: آمين (٣٨) ، فإن الملائكة يقولون: آمين ، وإن الإمام يقول: آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه] (٣٩) .

□ حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم :

روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : [فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر] . يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم .

﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ (٤٠) إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴾ (٤١) .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

[يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون] .

□ نزولهم عند قراءة القرآن :

وهم ينزلون عند قراءة القرآن ، ويستمعون إليه :

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أسيدبن حضير بينا هو فى ليلة يقرأ فى مريده (٤٢) إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت (٤٣) أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أسيد ، فخشيت أن تطأ بحبى فقممت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السُرُج عرجت فى الجو حتى ما أراها . فقال : فغدوت على

(٣٨) أى قولوا آمين مع الإمام مع الموافقة له .

(٣٩) رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

(٤٠) أى صلاة الفجر .

(٤١) سورة الإسراء آية ٧٨ .

(٤٢) المرید : الجرن .

(٤٣) جالت : وثبت .

رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله بيننا أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مريدى إذ جالت فرسى، فقال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حضير. قال فقراءتُ، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير قال : فقراءتُ، ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير. قال : فانصرفت وكان يحبى قريباً منها خشيتُ أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ : تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصيحبت يراها الناس ماتستتر منهم» (٤٤).

□ حضورهم مجالس الذكر:

وهم يلتمسون حلقات الذكر لإمدادهم بالقوى الروحية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله نادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفظونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال : فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم ما يقول عبادى؟ قال يقولون : يسبحونك، ويكبرونك ومحمدونك، ويمجدونك؛ قال فيقول : هل رأونى؟ قال : فيقولون لا والله يارب ما رأوك قال : فيقول : كيف لو رأونى؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسييحاً، قال فيقول : مم يسألونى؟ قال يقولون : يسألونك الجنة. قال فيقول : وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يارب ما رأوها؟ قال فيقول : فيكف لو رأوها؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال : فم يتعوذون؟ قال : يقولون يتعوذون من النار. قال فيقول : وهل رأوها؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها. قال فيقول : فكيف لو رأوها؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم]. رواه البخارى واللفظ له ومسلم . ولفظه قال :

(٤٤) رواه البخارى ومسلم، واللفظ له .

[إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يتغنون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وصف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، وهللونك، ويمجدونك ويسألونك. قال: فما يسألونني؟ قالوا يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا لا يارب - قال: وكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يارب. قال: هل رأوا نارى؟ قالوا: لا يارب. قال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك. قال فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال يقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاء إنما مرفجس معهم؟ قال فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم] .

□ صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم:

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيْمًا ﴾ (٤٥).

وعن أبى أمامة أن رسول الله قال: [إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير، » (٤٦).

□ تبريكهم أهل العلم وتواضعهم لهم:

عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:

[إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع] (٤٧).

□ حملهم البشريات:

روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

(٤٥) سورة الأحزاب آية: ٤٣ .

(٤٦) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٤٧) رواه أبو داود والترمذى .

[زار رجل أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته (٤٨) ملكاً ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة ترُبُّها (٤٩) ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه] .

□ إعلانهم عمن يحبه الله وعمن يبغضه :

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

[إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال :

« إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض .

» وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول :

« إنى أبغض فلانا ، فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء إن الله أبغض فلانا فأبغضوه ، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض] (٥٠) .

□ كتابتهم الأعمال :

وهم يكتبون أعمال الإنسان ، ويحصون عليه حسناته وسيئاته .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمُ اسْمًا مَّا نُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ *
إِذْ نُلْقَى الْمَتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (٥١) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

(٤٨) مدرجته : طريقه .

(٤٩) تصلحها .

(٥٠) رواه مسلم .

(٥١) قال الحسن فى قول الله « عن اليمين وعن الشمال قعيد » : يا ابن آدم : بسطت لك صحيفة ، وكل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك : فأما الذى عن يمينك ، فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقل ، أو أكثر . حتى إذا مت طويت صحيفتك ، وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » .. الآية ثم يقول الحسن : عدل والله فيك من جعلك حسب نفسك .

عَيْدٌ ﴿٥٢﴾ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَنِينِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .
﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا * فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ *
وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

ويسجلون هذه الأعمال عندهم في سجل لكل فرد ، ثم تعرض يوم الحساب :

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيقَهُ فِي عُنُقِهِ * وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ *
مَنْشُورًا * أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ﴿٥٥﴾ .

وفي أثناء العرض يشهدون على ما عمل الإنسان من خير أو شر :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ *
كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

□ تثبيت المؤمنين :

وهم يشتون المؤمنين بما يلقونه في قلوبهم من التأييد :

﴿ إِذِ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَتَيَّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿٥٧﴾ .
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ *
وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولِيَّائِكَ *
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

(٥٢) سورة ق آية : ١٦ .

(٥٣) سورة الانفطار آية : ١٠ - ١٢ .

(٥٤) سورة الزخرف آية : ٧٩ ، ٨٠ .

(٥٥) سورة الإسراء آية ١٣ ، ١٤ .

(٥٦) سورة ق آية : ٢٠ - ٢٢ .

(٥٧) سورة الأنفال آية : ١٢ .

(٥٨) المقصود بالروح هنا روح القدس وهو جبريل . سورة المجادلة : ٢٢ .

□ وهم موكلون بقبض الأرواح :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ (٥٩).

﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (٦٠).

□ وهم يحيون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم :

﴿ الَّذِينَ نَوَّفْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (٦١).

□ وبشروهم بالجنة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
الَّتِي تَحْزَنُونَ وَأَلَّا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ
أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴾ (٦٢).

أى إن الذين آمنوا بالله إيماناً حقاً، واستقاموا على الطريق الذى رسمه لعباده، فإن الملائكة تنزل عليهم عند الموت وتقول لهم : لا تحزنا مما أمامكم من أهوال القبر وعذاب الآخرة، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد، وأبشروا بالجنة التى وعدكم الله بها ..

بينما يمتنون الفسقة، ويضربون وجوههم وأدبارهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ (٦٣).

﴿ وَلَو تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

(٥٩) سورة الأعمام آية : ٦١ .

(٦٠) سورة السجدة آية : ١١ .

(٦١) سورة النحل آية : ٣٢ .

(٦٢) سورة فصلت آية : ٣٠ - ٣٢ .

(٦٣) سورة النساء آية : ٩٧ .

وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٦٤﴾ .

□ الإيمان بالملائكة :

وإذا كان هذا هو شأن الملائكة فى عالم الروح ودورهم الإيجابى فى الكون والطبيعة ، وإذا كانت هذه هى صلتهم بالإنسان فى هذا العالم ، وفى العالم الذى يأتى بعده _ كان من الواجب الإيمان بوجودهم ، ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تركية النفس وتطهير القلب وعبادة الله عبادة خاشعة :

وفى الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التى خلق الإنسان من أجلها ، وهى أداء أمانة الحياة ، والقيام بالخلافة عن الله فى الأرض .

ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر ، ومن دلائل الصدق والتقوى .

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ (٦٥) .

أن الإيمان لا يكون له حقيقة إلا إذا آمن الإنسان بهذا العالم الروحى إيمانا لا يتطرق إليه الشك ، ولا تتسرب إليه الظنون .

وهذا هو نهج الأنبياء والمؤمنين الذين انكشفت الحقائق أمام أبصارهم ، فأدركوا من الكون ما لم يدركه الغافلون .

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ ﴾ (٦٦) .

إن هذا العالم الغيبى لا يدرك بالحس ولا بالعقل ، بل إن الشياطين لا يمكنهم الوصول إليه :

﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ (٦٧) .

وسبيل معرفته هو الوحي لأنه غيب من الغيوب .

(٦٤) سورة الأثفال آية : ٥٠ .

(٦٥) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٦٦) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٦٧) سورة الصافات آية : ٨ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَمَا مِّنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ
بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦٨).

وكل ما يجب الاهتمام به أن تؤمن بهم ، و نرعى حق صحبتهم و نوثق صلتنا بهم كما
أرشد الرسول :

[إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم ،
وأكرموهم] .

الجن

- ❁ من هم ؟
- ❁ طريق العلم بهم.
- ❁ المادة التي خلقوا منها.
- ❁ طوائفهم.
- ❁ الجن مكفون كالبشر.
- ❁ إستماعهم القرآن من الرسول.
- ❁ الجن لا يعلم الغيب.
- ❁ تسخير الجن لسليمان.
- ❁ إبليس والشياطين.
- ❁ كل إنسان معه شيطان.
- ❁ الإعراض عن هداية الله يمكن للشيطان.
- ❁ التحذير من عداوة الشيطان.
- ❁ لا سلطان للشيطان على المؤمنين.
- ❁ مقارمة الشيطان.
- ❁❁ حكمة خلق إبليس.

الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس لا يُرَوَّنَ على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل.

□ طريق العلم بهم :

والطريق الذى يوصلنا إلى العلم بهذا العالم هو الوحي، وقد هدانا الكتاب والسنة الصحيحة عن أصل المادة التى خلقوا منها، وعن طوائفهم، وعن مصير كل طائفة، وعن تكليفهم واستماعهم القرآن من الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

□ المادة التى خلقوا منها :

يقول الله سبحانه وتعالى فى أصل المادة التى خُلِقَ منها الجنّ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (١).

والآيتان تدلان على :

١- أن الإنسان فى أول أمره خلق من تراب، ثم عجن بالماء، فصار طيناً، ثم مكث حتى صار حمأ (٢) مسنوناً، ثم يبس هذا الحمأ المتغير الرائحة حتى صار صلصالاً (٣).

٢- وأن الجنّ فى أول أمره خلق من نار لادخان فيها؛ لأن السموم هو لهب النار الخالص.

٣- وأن خلق الجنّ سابق لخلق الآدميين.

□ طوائف الجن :

والجن طوائف :

فهم الكامل فى الاستقامة والطيبة وعمل الخير.

(١) سورة الحجر آية: ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) الحمأ طين أسود متغير ريحه من طول مجاورته للهاء .

(٣) أى يظهر صوته إذا نقر عليه .

ومنهم من هو دون ذلك .

ومنهم البئله المغفلون .

ومنهم الكفرة ، وهم الكثرة الكاثرة .

يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن :

﴿ وَأَنَامْنَا الصَّالِحِينَ وَمَنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا ﴾ (٤) .

أى أن منهم الكاملين فى الصلاح ، ومن هم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب مختلفة كما هو الحال عند البشر .

ويقول الله عنهم :

﴿ وَأَنَامْنَا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *
وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (٥) .

أى أن منهم المسلمين ، ومنهم الظالمين أنفسهم بالكفر ، فن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم .

□ الجن مكلفون كالشعر :

والجن مكلفون كالإنس ورسلمهم من البشر : يقول الله سبحانه :

﴿ يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمِيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّهْمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٦) .

﴿ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ أَتَّكِدُ بِإِن * يَمَعَشِرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا وَلَا تَنفُذُوا
إِلَّا بِإِذْنِ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ أَتَّكِدُ بِإِن * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ

(٤) سورة الجن آية : ١١ .

(٥) سورة الجن آية : ١٤ - ١٥ .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٠ .

فَلَا تَنْصِرَانِ * فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧﴾ .

ومعنى الآيات: سنفرغ لكم لنحاسبكم حساباً دقيقاً لا يشغلنا عن ذلك شيء
يا أيها الثقلان .

والثقلان مثنى ثقل وهما، الجن والإنس .

يا جماعة الجن والإنس إن قدرتم أن تفروا من جانب من جوانب السموات والأرض
للهرب من الحساب ففروا، واهربوا، ولكن لن تستطيعوا ذلك إلا بالقوة التي
تفوق قوة الله، وذلك لا يكون لاستحالته .

□ استماعهم القرآن من الرسول :

وقد حضر وفد من الجن ، وسمعوا القرآن من النبي صلوات الله وسلامه عليه ،
ولم يرههم وقت وجودهم ، ولم يعلم بحضورهم .
وفى ذلك يقول الله سبحانه :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِذْ قُرءَ انَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا
كِتَابًا أَنْزَلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ * يَتَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُجْزِكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِن دُونِهِ ءَٰوْلِيَاءٌ ءَٰوْلِيَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٨﴾ .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال :

«ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ، ولا رأهم . انطلق ﷺ فى طاقة من
أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ،
وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ قالوا :

(٧) سورة الرحمن آية : ٣١ - ٣٤ .

(٨) سورة الأحقاف آية : ٢٩ - ٣٢ .

حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فمر النفر الذين أخذوا تهامة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشيد فآمناً به ولئن نُشِرِكَ بِرَبِّنا أحداً» فأُنزل الله تعالى على نبيه ﷺ:

﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾

وقال الحافظ البيهقي: وهذا الذى حكاه ابن عباس رضى الله عنها، إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وعلمت حاله، وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يرههم، ثم بعد ذلك أتاه داعى الجن، فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله عز وجل.. انتهى.

وهذا يشير إلى مارواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة، وهو بمكة فقلنا: أغتيل، أو استطير، ما فعل به؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، حتى إذا أصبحنا، أو كان فى وجه الصبح، فإذا نحن به يحجىء من حراء، قال: فذكروا له الذى كانوا فيه؛ فقال: أتانى داعى الجنة، فأتيتهم، فقرأت عليهم، فانطلق، فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم.

□ الجن لا علم له بالغيب:

علم الغيب مما استأثر الله به، والله لا يطلع أحداً على غيبه، إلا إذا أراد أن يبلغ من ارتضاه من رسله ما يريد إيلاغه للناس.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (١٠).

(٩) رواه الشيخان والترمذى والنسائى والبيهقى.

(١٠) سورة الجن آية: ٢٦، ٢٧.

أى أنه يجعل حرساً حول هذا الرسول الذى أطلعه على بعض الغيب المتعلق برسالاته، وهذا الحرس من الملائكة والشهب لحفظ هذا الغيب من تلاعب الشياطين .

وفى قصة سليمان يقول القرآن الكريم:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَّتْ الْجَنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (١١) .

□ تسخير الجن لسليمان عليه السلام :

والله سبحانه سخر الجن لسليمان ، ولم يحدث ذلك لغيره فيما نعلم :

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (١٢) . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (١٣) وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (١٤) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٥)

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَّجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ (١٦) .

وطلب سليمان من جلسائه أن يأتيه أحد منهم بعرش بلقيس ، فقال :

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَنبَأُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكُمْ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (١٧) .

(١١) سورة سبأ آية : ١٤ .

(١٢) أصاب : أراد .

(١٣) عوَّاص فى البحار لاستخراج اللؤلؤ .

(١٤) مربوط بعضهم مع بعض فى السلاسل .

(١٥) سورة ص آية : ٣٦ — ٣٩ .

(١٦) سورة سبأ آية : ١٢ ، ١٣ .

(١٧) سورة النمل آية : ٣٨ ، ٣٩ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

[إن عفريتاً من الجن تقلت البارحة ؛ ليقطع على صلواتى ، فأمكننى الله منه ، فأخذته ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوازي المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان : « رب هب مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدى » ، فرددته خاسئاً] .
□ إبليس والشياطين :

إبليس اسم أعجمى ، ولهذا كان ممنوعاً من الصرف ، وقيل : إنه عربى مشتق من الإبلاس ، وهو اليأس من رحمة الله ، أو الإبعاد عن الخير . ومنع من الصرف لأنه لا نظير له فى الأسماء ، أو لأنه يشبه الأسماء الأعجمية .

وهو أبو الشياطين (١٨) ، وأصلهم الأول (١٩) .

والشياطين هم المتمردون من عالم الجن .

وإذا كانت الملائكة هم جُند الله الذين يمثلون الخير والفلاح والصلاح ، فإن إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء الله الذين يمثلون الشر والفساد ، فأعمال الملائكة والشياطين على طرفى نقيض .

إذ أن أعمال الملائكة تتجه أول ما تتجه إلى عبادة الله ، وترقية الحياة ، وتنظيم أمر هذا الوجود ، وإقامة معالم النظام ، وهى تعمل دائماً على التأليف والتجميع والتنسيق ، وهداية الإنسان إلى الحق ، ودعاء الله أن يغفر له سيئاته ويحفظه منها .

أما أعمال الشياطين فهى تتجه دائماً إلى الترد على الله ، وإلى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ووصل ما أمر الله به أن يقطع فما من شر فى الأرض ، ولا فساد فى الوجود إلا ولهم به صلة .

وهم الذين زينوا للأمم السابقة سوء العمل ، وحسنوا لهم الكفر والمعاصى ، ودعوهم إلى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر الله ، ولا تزال هذه أعمالهم .

(١٨) الشياطين جمع شيطان ، والشيطان كل متمرد من الإنس أو الجن أو الحيوان ، والمقصود بهم هنا المتمردون من عالم الجن .

(١٩) وهو سيبقى . إلى يوم القيامة ، فقد طلب إنتظاره فأجابه الله « إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » ، وله ذرية : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى » . الكهف .

﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أُولَئِكَ لَهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٠).

وعن عياض الجاشعي، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم فى خطبته :

[ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومى هذا، كل ما نخلته عبداً حلالاً (٢١) وإنى خلقت عبادة حنفاء كلهم (٢٢) وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم (٢٣) وحرمت عليهم ما أحللت لهم (٢٤)، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فقتهم لغربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب (٢٥)، وقال إنما بعثتك لأبتيك، وأبتلى بك (٢٦) وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان] (٢٧).

فالشياطين هى التى دعت إلى تحريف الدين، والخروج على الفطرة، وإلى الإشراف بالله، وحرمت الحلال، وأحلت الحرام، ولا تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق صادة عن سبيل الله ومحاولة صرفه عن جلائل الأعمال.

فى حديث سبره بن فاكه أن رسول الله ﷺ قال :

[إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق :

فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم، وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه،

(٢٠) سورة النحل آية : ٦٣.

(٢١) أى وقال ربي كل ما أعطيتهم أبدي من طريق مشروع فهو حلال له كمنحة من ذى سلطان وهديّة من بعض الناس وصناعة وزراعة ووظيفة ونحوها فلا تحرموا على ما لم يحرم الله عليكم .

(٢٢) أى على الفطرة مستمدين لقبول الهداية .

(٢٣) ذهبت بهم للباطل .

(٢٤) من الأتباع كالبهيمة ونحوها .

(٢٥) نظر إلى أهل الأرض ففضب عليهم غضباً شديداً قبل بعثة نبينا محمد ﷺ إلا فريقاً من أهل الكتاب الأول لم يغيروه .

(٢٦) لأبتيك هل تقوم بحق الرسالة أولاً وأبتيك بك الناس هل يؤمنون بك أو يكفرون .

(٢٧) لا ينسله الماء لأنه ليس فى صحف بل محفوظ فى الصدور يقرأ فى كل حال .

وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر؟ أتدع أرضك وسءاك؟
فعمصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال أتماهد وهو تلف النفس
والمال، فمقاتل، فقتل فتكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعمصاه وجاهد.

وقال رسول الله ﷺ: فن فعل ذلك، فات كان حقاً على الله أن
يدخله الجنة].

والشيطان هو الذى قام بدور رئيسى فى القضاء على دعوة الإسلام فى أول صدام
له مع أعدائه.

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ كَصَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴾ (٢٨).

وهذا الشيطان هو الذى يزين لكل فرد ما تهنوا إليه نفسه، ويميل إليه هواه من
حب للجنس، أو طمع فى المال، أو حرص على المنصب، أو تطلع إلى الجاه،
أو إثارة للاستبداد، أو ميل إلى الطغيان، بل إنه ليتسلط على المتدينين أنفسهم؛
ليزيدوا فى شرع الله أو ينقصوا منه ليطوعوا الدين لأهوائهم، ويخضعوه لشهواتهم.

وهو الذى يغرى العداوة والبغضاء بين الناس، فيفرق بين الأخ وأخيه، وبين
الزوج والزوجة، وبين طوائف الأمة وجماعاتها.

وهو الذى يوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب، وينفخ فيها لتهلك الحرث
والنسل، وتأتى على الأخضر واليابس.

وكلما كان الشيطان أقدر على الشركان أقرب منزلة وأعلى قدراً لدى رئيسه
إبليس لعنه الله.

عن جابر عن النبى ﷺ قال:

[إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة
أعظمهم فتنة.. يجيء أحدهم، فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول:

(٢٨) سورة الأنفال آية: ٤٨.

ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول نعم أنت].

أن الفساد الجنسي، والفساد الخلقي، والفساد الاجتماعي، والفساد السياسي، والفساد الاقتصادي، وكل ما يعانىه الإنسان من فتن وويلات إنما هو من نتاج إبليس وجنوده الأشرار.

□ كل إنسان معه شيطان (٢٩):

وكما أمد الله الإنسان بملك يهديه، ويؤيده فإنه كذلك يمده بشيطان يوسوس له ويزين له السوء، ويفريه بالمنكر، ويدعوه إلى الفتنة، يستوى في ذلك الأنبياء وغيرهم.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا ﴾ (٣٠).

وعن عائشة رضی الله عنها قالت: «خرج النبي ﷺ من عندي ليلاً، فغرت عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال مالك يا عائشة أغرتي؟ قلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان شيطان؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم» (٣١).

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

[ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرين من الجن. قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم فلا يأمرني إلا بخير] (٣٢).

(٢٩) ليس في العقل ولا في العلم ما يمنع من روح شرير يحاول إغواء بني آدم ليلتوا به في حياتهم، والعالم الروحاني عالم واسع، وقد ثبت وجوده علمياً، وقد مر على البشر قرون وأزمان وهم يجهلون الميكروبات وأثرها في حياتهم، ثم اكتشفوها أخيراً، فهل حينئذ كانوا يجهلون أنها كانت غير موجودة، إن الجهل بالشيء لا يعني عدم وجوده.

(٣٠) سورة الأتعام آية: ١١٢.

(٣١) رواه مسلم.

(٣٢) رواه مسلم.

□ الإعراض عن هداية الله يمكن للشيطان :

والشيطان لا يتمكن من نفس الإنسان إلا إذا أعرض عن هداية الله، وخرج عن المنهج المرسوم .

فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له عاقبه الله بتمكين الشيطان منه ، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفي كل فعل .

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ نَاقَالَ يَنْلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَنُ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكَ يَوْمَ ذَلِكَ ظَلْمَةٌ أَنتَ كُفِرْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٣٣) .

ومع التماذى فى الغى والضلال يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية ، ويستولى عليها استيلاء كاملاً؛ حتى يبلغ الإنسان أن يكون جندياً لإبليس ، أو عضواً فى جماعة الشياطين .

﴿ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٤) .

وحين يصل الإنسان إلى هذا المستوى ، ويهبط إلى هذا الدرك يكون قد بلغ النهاية فى الانحطاط الروحى والكفر بذخائر النفس .

وفى هذا الدرك تحتل المقاييس ، وتضطرب الموازين ، وتلتبس الحقائق ، ويعلو سلطان الباطل ، وتسود شريعة الغاب ، ويتعادى الناس تعادى الحيوانات المفترسة ، ويصبح الإنسان وهو أبداع ما أنشأته العناية الإلهية أداة من أدوات الشر والفساد ، وعاملاً من عوامل الهدم والتخريب .

﴿ أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ تَؤْذُهُمْ أَرَأَ ﴾ (٣٥) .

(٣٣) سورة الزخرف آية : ٣٦ ، ٣٩ .

(٣٤) سورة المجادلة آية : ١٩ .

(٣٥) سورة مريم آية : ٨٣ . أى تغريهم بالمعاصى إغراء وتزعجهم إليها ازعاجاً شديداً .

بل يصل الإنسان إلى الحالة التي يتبرأ الشيطان فيها منه .

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) .

□ التحذير من عداوة الشيطان :

إن الشيطان يمثل الشر في الأرض ، ويعمل دائماً على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله ، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد .

لهذا حذرنا الله من كيده ، وأخبرنا بعداوته ، ودعا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه ، وتخف شروره وآثامه ، فقال :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣٧) .

وقص علينا من عداوته لأبينا آدم عليه السلام ما فيه العظة البالغة ، فقد استطاع أن يُغريه بالأكل من الشجرة ، وأن يخرج من الجنة بكذبه وخداعه ، وأن يوقعه في مخالفة أمر الله وارتكاب نهيهِ ، ثم قال عقب ذلك :

﴿ يٰٓبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٨) .

وبين للإنسان ما أخذه الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم ، أنه سيقعد على الصراط المستقيم يغوى الناس ويضلهم . قال :

(٣٦) سورة الحشر آية : ١٦ .

(٣٧) سورة فاطر آية : ٦ .

(٣٨) سورة الأعراف آية : ٢٧ .

﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَىٰ لَيْنٍ أَخْرَتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣٩)
لَا حَتَمَكَ دُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
جَزَاءُكُمْ جزاءً مَوْفُورًا * وَأَسْتَغْرِزُ (٤٠) مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (٤١)
وَأَجْلِبُ (٤٢) عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ
وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿ (٤٣)

وفى سورة الأعراف يقول الله تعالى :

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ (٤٤) الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ (٤٥) وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ (٤٦)

وكان حكمه هذا ظناً وقد تحقق :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ أَنبِيُّ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٤٧)

وفى سورة النساء يقول الله سبحانه :

﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا (٤٨) ائْتِئُوا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ
مَرِيدًا (٤٩) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٥٠)

(٣٩) أتصرفن فيهم بالسوسة .

(٤٠) الاستغزاز: الحث بشدة .

(٤١) وسوستك .

(٤٢) أى صح عليهم بجندك مشاة وراكبين .

(٤٣) سورة الإسراء آية : ٦٤ .

(٤٤) أى على الصراط وهو طريق الله .

(٤٥) أى لا يترك جهة إلا هجم عليهم منها .

(٤٦) سورة الأعراف آية : ١٦ .

(٤٧) سورة مباء آية : ٢٠ .

(٤٨) أصنام ذات أسماء مؤنثة - اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

(٤٩) شديد التمرد والخروج على الطاعة .

(٥٠) معينا ومعتمداً استيلاؤه عليه .

وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ (٥١) وَلَا مَتَّبِعِيَهُمْ وَلَا مُرْتَبِعِيَهُمْ (٥٢) فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ
 الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَبِعَهُمْ فَلْيَغَيِّرُ بَخْلَ اللَّهِ (٥٣) وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ
 وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ (٥٤)
 وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٥٦).

ويعلمنا أن الشيطان جاد في إلقاء خواطر السوء، ومهمته بتقوية دواعي الشر
 والباطل في النفس الإنسانية.

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (٥٧).

أى أن الشيطان يوسوس للإنسان، ويلقى في نفسه بأن الانفاق يذهب
 بالمال، ويأمره بالإمساك والبخل والحرص على المال ومنع الزكاة.

ومن ثم كان من الواجب الحذر منه، واتقاء شروره وأثامه.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ
 وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (٥٨).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ

(٥١) أضلنهم عن الحق بالوسوسة.

(٥٢) أى أن الشيطان حلف أن يأمر أتباعه بقطع آذان الأنعام تطعياً للأصنام وكان الوثنيون يقطعون
 أذن الناقة ويشقونها إذا ولدت خمس بطون وجاءت فى المرة الخامسة بذكر، وكان ذلك علامة
 على أنه ملك للأصنام لا تركب ولا ينتفع بها أحد.

(٥٣) أى يأمرهم بسوء التصرف فيتغير خلق الله ولا سيما الدين الذى هو فطرة.

(٥٤) يعدهم بالفقر إذا اتفقوا فى سبيل الله وبالغنى إذا غشوا ولعبوا القمار مثلاً ونحو ذلك .. ويمنمهم
 الباطل الذى لا حقيقة له . وما يعدهم فى الحقيقة إلا بما يفر ويضر وليس له أصل ولا نفع .

(٥٥) يشغلهم بالأمتى الباطلة كطول العمر وعدم البحث والجزاء على العمل حتى ينفلوا عن الاستعداد للقاء
 الله .

(٥٦) سورة النساء آية : ١٧

(٥٧) سورة البقرة آية : ٢٦٨ .

(٥٨) سورة الأنعام آية : ١٤٢ .

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٥٩﴾.

ومن أبلغ ما ذكره القرآن في الترهيب من متابعة الشيطان ما جاء في سورة الأنعام: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشِرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا الْجَنَّةَ الَّتِي جَلَلْنَا ﴿٦٠﴾﴾.

أى أن الله يقول يوم الحشر للجن وقد استكثرتهم من إغواء الإنس، وقال اتباعهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض أى استمتع الجن بالإنس حيث قادوهم، وأخضعوهم لسلطانهم، فكانت لهم لذة السيطرة ومتعة الرياسة، واستمتع الإنس بالجن حيث زينوا لهم الشهوات أو دلوهم عليها، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغوا الأجل المقدّر لهم. وفى مشهد من مشاهد القيامة يميز الله فيه المجرمين، ويوجه إليهم الخطاب ناعياً عليهم طاعتهم للشيطان وعبادتهم له.

﴿وَأَمْتَرُوا﴾ (٦١) أَلْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْتِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا (٦٣) الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾.

وفى مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان فى أتباعه موقعا اللوم عليهم فى ضلالهم ومتابعتهم له.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَضَى الْأُمُورَاتِ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ

(٥٩) سورة النور آية: ٢١.

(٦٠) سورة الأنعام آية: ١٢٨.

(٦١) انفردوا.

(٦٢) العهد: الوصية.

(٦٣) عبادة الشيطان طاعته والاستجابة له.

(٦٤) جبلا أقولما.

(٦٥) سورة يس آية: ٥٩ - ٦٢.

فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّيَ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، واسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً؛ ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغماً إلى غمهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: «إن الله وعدكم وعد الحق» على السنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وخبراً صادقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيَمَنِّيهِمْ وَيُفِئُهُمُ

السَّيْطَانُ الْأَعْرُورًا ﴿٦٧﴾

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾

أى ما كان لى عليكم فيما دعوتكم إليه دليل، ولا حجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم، فاستجبت لى بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه «فلا تلوومونى» اليوم «ولووموا أنفسكم» فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتمونى بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل «ما أنا بمصرخكم» بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، «وما أنتم بمصرخى» بنافعى بانقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال «إني كفرت بما أشركتمونى من قبل» قال قتادة: أى بسبب ما أشركتمونى من قبل، وقال ابن جرير. يقول أنى جحدت أن أكون شريكاً لله عز وجل.. وهذا الذى قاله هو الراجح.. وحين يقف الإنسان وقرينه أمام الله فى الآخرة يقول الإنسان: يارب هذا أضلنى عن الذكر بعد إذ جاعنى، فيقول شيطانه الذى وكل به: «ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد» فيقول الله.

﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّْ (٦٧) وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ وَمَا أَنَا

(٦٦) سورة إبراهيم آية: ٢٢.

(٦٧) أى لا تخاصموا عندى فقد أهدرت إليكم على السنة الرسل وأنزلت إليكم الكتاب وقامت عليكم

الحجج والبراهين.

يُظَلِّمِ لِلْعَبِيدِ ﴿٦٨﴾ .

□ لا سلطان للشيطان على المؤمن :

والإيمان يفيض على النفس إشراقاً، ويملأ القلوب نوراً، وإذا أشرقت النفس واستتار القلب أمحى كل ما يوسوس به الشيطان .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (٦٩) .

وإذا ألم بالقلب الموصول بالله من مس الشيطان شيء فسرعان ما يستيقظ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٧٠) .

وقد استطاع الشيطان أن يغري آدم بالأكل من الشجرة، وأن يوقعه فيما حظره الله عليه، وأن يحرك في نفسه بواعث الهوى ودواعي الشر إغراء وخداعاً .

﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٧١) .

إلا أن نوازع الخير ودواعيه تيقظت في قلب آدم وحواء، وعلمتا أنه خدعهما

(٦٨) سورة ق آية : ٢٧ - ٢٩ .

(٦٩) سورة النحل آية : ٩٨ - ١٠٠ ، ففي الآية الأولى نفى سلطانه على المؤمنين المتوكلين . وفي الثانية أثبت سلطانه على من تولاها وعلى أهل الشرك .. والمقصود بالسلطان الطريق الذي يتسلط به على الغير بالإغواء والإضلال .

(٧٠) سورة الاعراف آية : ٢٠١ .

(٧١) سورة الأعراف آية : ٢٠ - ٢٢ .

بها، فتغلبت هذه النوازع والدواعى على وسوسة الشيطان وحظه من النفس، فتابا إلى الله، وأتابا قائلين:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٧٢).

فقبل الله توبتها واستجاب دعاءها:

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٧٣).

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ أَجْبَبَهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (٧٤).

وبالتوبة والإنابة إلى الله تغلب جانب الخير على جانب الشر ومتى تغلب جانب الخير على جانب الشر فى نفس الإنسان تعرض لهداية الله، وكان أهلاً للاجتماع والاصطفاء.

والله لم يذكر لنا هذه القصة إلا لتكون مثلاً حياً لما ينبغى أن يكون عليه الإنسان، فالإنسان لم يخلق ملكاً منزهاً عن النقائص، وإنما خلق وعنده استعداد للبر والإثم، والصواب والخطأ، والخير والشر، والطاعة والمعصية، والتقوى والفجور.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٧٥).

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله فى الأرض مكلف بأن ينمى فى نفسه معانى البرِّ والصواب والخير والطاعة والتقوى، وأن يقاوم نوازع الإثم والخطأ والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحى الذى أراده الله له.

وفى هذه المعركة يتدخل الشيطان؛ ليصرف الإنسان عن تنمية قواه العليا من جانب، وليضعف من روح المقاومة بطريق الخداع والإغراء والتزيين من جانب آخر.

ومن ثم كان واجباً على الإنسان أن يحذر مكاييد الشيطان ويعرف أساليبه التى يتخذها، ليصرف الإنسان عن وظيفته الأولى فى هذه الحياة.

(٧٢) سورة الأعراف آية: ٢٣.

(٧٣) سورة البقرة آية: ٣٧.

(٧٤) سورة طه آية: ١٢١ - ١٢٢.

(٧٥) سورة الشمس آية ٧، ٨.

فإذا زلّت به قدم ، أو تورط فى الإثم ، أو جانبه صواب ، أو مارس شراً ، أو اقترب معصية ، أو ارتكب فجوراً ، فأمامه السبيل الذى رسمه له أبوه آدم من التوبة ، واستئناف حياة أركى وأطهر .

وهذا يخلص الإنسان من سلطان الشيطان وسيطرته عليه .

□ مقاومة الشيطان :

إن الله لم يذكر فى القرآن النفس الأمانة بالسوء ، ولا النفس اللّوامة إلا مرة واحدة ، ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه فى صور متنوعة ، وما فعل ذلك إلا ليكون الإنسان منه على حذر؛ كى لا يضل ، ولا يشقى ؛ ذلك أن عمل الشيطان فى النفس مثل عمل الميكروب فى الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولاً القضاء عليه والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب إلا إذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب ، وتقضى على ضراوته .

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضاها ، فيهجم عليها محاولاً إفسادها .

ولا خلاص منه إلا إذا صحت النفس من أمراضها ، التى هى المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته .

وأعراض النفس التى هى مداخل الشيطان هى نقائص الإنسان التى يجب عليه أن يتخلص منها حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه ، وهذه الأمراض أو هذه النقائص هى على سبيل المثال لا الحصر (٧٦) : الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح ، والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغى ، والجحود ، والكنود والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد فى الخصومة ، والغرور ، والأدعاء الكاذب ، والمطلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والعناد ، والطغيان ، وتجاوز الحدود ، وحب المال والافتتان بالدنيا ، فهذه هى أمراض النفس ، وبواسطتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الإنسان ، وليرزحه عن فضائله العليا ، ولا سبيل إلى طرده

(٧٦) يراجع كتابنا عناصر القوة .

ومعالجة وسوسته وإغرائه إلا إذا عولجت النفس أولاً عن طريق المجاهدة حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها، وتعود إليها الصحة والعافية، وتكون نفساً مطمئنة بالحق والخير.

وحينئذ يكون ذكر الله، والاستعاذة به من الشيطان، والتبرى من الحول والقوة، وإسلام الوجه لقيوم السموات والأرض مما يقوى من معنويات الإنسان، ويرفع من مستواه الروحي، حتى يصل الإنسان إلى درجة يخاف فيها الشيطان من أن يلقاه فى طريق من الطرق. كما حدث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ..
روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال لعمر:

[يا بن الخطاب ما ليك الشيطان سالكا فجا (٧٧) إلا سلك فجا غير فجاجك] .
إن سعادة الإنسان لا تتم إلا بكبح جماح النفس، والتغلب على هواها باتباع وحى الله، ومحاربة نزغات الشيطان .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (٧٨)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (٧٩) .
□ حكمة خلق إبليس :

وقد يقال لِمَ خلق الله إبليس يوسوس بالشر، ويدعو إلى معادة الله ومحاربة تعاليمه، وقد أجاب عن ذلك بعض العلماء فقال :

أنه يظهر للعبادة قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات . فخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وسبب كل شر، فى مقابلة ذات جبريل التى هى من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها . وهى سبب كل خير، فتبارك الله خلق هذا

(٧٧) فجا : طريقاً .

(٧٨) سورة المؤمنون الآية : ٩٨ .

(٧٩) سورة الناس .

وهذا. كما ظهرت قدرته فى خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة، والموت. والحسن والقبيح والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكوته وسلطانه، فانه خلق هذه المتضادات. وقابل بعضها ببعض وجعلها مجال تصرفه وتدييره. فخلو العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتديير مملكته.

ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية: مثل القهار. والمنتقم. والعدل. والضار. والشديد العقاب. والسريع الحساب. وذى البطش الشديد. والخافض. والرافع. والمعز. والمذل. وأن هذه الأسماء والأفعال كمالات لا بد من وجود متعلقها. ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة كالأه، وعفوه، ومغفرته، وستره، وتجاوزه عن حقه وعنته لمن يشاء من عبده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأشياء لتعطلت هذه الحكم والفوائد. وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله:

[لولا لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم] (٨٠).

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذى يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشئ فى غير موضعه، لا ينزله فى غير منزلته التى يقتضيتها كمال علمه، وتمام حكمته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكر له جميل صنعه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قرر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذى هو أعظم من الشر الذى فى تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التى فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها حصول الطاعات المتنوعة التى لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن طاعة الجهاد من أحب أنواع الطاعات، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه

(٨٠) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

الطاعة وتوابعها من الموالاة لله تعالى والمعادة فيه، وطاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، والتوبة، والامتنان والصبر، والاستعاذة بالله أن يجبره من عدوه، ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

المكتبة السموية

- ❖ الكتب المدونة.
- ❖ القرآن الكريم آخر الكتب.
- ❖ تحريف التوراة.
- ❖ تحريف الإنجيل.
- ❖ تصديق القرآن للكتب السابقة.
- ❖ الطريق إلى الحقيقة.

إن لله سبحانه تعاليم ووصايا ، أوحاها إلى رسله وأنبيائه :
 منها ما دَوَّنَ فِي كِتَابٍ ، وَمِنْهَا مَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ . فَلَكَ نَبِيٌّ رَسَالَةٌ بَلَّغَهَا قَوْمَهُ :
 ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (١) .
 ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ
 الْمُنِيرِ ﴾ (٢) .

والكتب المدونة هي :

التوراة التي نزلت على موسى .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
 لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
 عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ (٣) .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قِرَاطِيسَ يُدَوِّنُهَا وَيُخْفُونَ
 كَثِيرًا ﴾ (٤) .

والإنجيل الذي نزل على عيسى .

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
 وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) .

والزبور الذي نزل على داود :

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٤ .

(٣) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(٥) سورة المائدة آية : ٤٦ .

﴿ وَعَاتِنَا دَاوُدَ ذُرِّيًّا ﴾ (٦) .

ومنها صحف إبراهيم وموسى :

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٢٦ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ٤١ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ (٧) .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٨) .

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها » .

أيها الملك المسلط (٩) المبتلى (١٠) المغرور (١١) إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر .

وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله — أن يكون ساعات :

فساعة يناجى (١٢) فيها ربه .

وساعة يحاسب فيها نفسه .

وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل .

وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب .

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً (١٣) إلا لثلاث :

(٦) سورة الإسراء آية : ٥٥ .

(٧) سورة النجم آية : ٣٦ — ٤٢ .

(٨) سورة الأعلى آية ١٤ — ١٩ .

(٩) المسلط : صاحب السلطان النافذ .

(١٠) المبتلى : المختبر بالحكم .

(١١) المغرور : الناسى حقوق الله الذى أصابته الغفلة .

(١٢) يناجى : يدعوره .

(١٣) ظاعناً : مرتحلاً .

تزود لمعاد (١٤) أو لمعاش (١٥) .

أو لذة فى غير محرم .

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه (١٦) .

قلت يا رسول الله :

فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

قال : كانت عبرا (١٧) كلها .

عجبت لمن أيقن بالموت ، ثم هو يفرح .

عجبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك .

عجبت لمن أيقن بالقدر . ثم هو ينصب (١٨) .

عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها .

عجبت لمن أيقن الحساب غداً ، ثم لا يعمل .

قلت يا رسول الله :

أوصنى ..

قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر كله .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله عز وجل ، فإنه نور لك فى الأرض ،

وذخر لك فى السماء .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : إياك وكثرة الضحك فإنه يميم القلب (١٩) ، ويذهب بنور الوجه .

قلت : يا رسول الله زدنى .

(١٤) عمل صالح للآخرة .

(١٥) سعى لميشه .

(١٦) يعنيه : يفيد .

(١٧) عبراً : عظات .

(١٨) ينصب : يتعب .

(١٩) فلا يتأثر بالمواعظ .

قال : عليك بالجهاد فإنه رهبانية (٢٠) أمتى .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : أحب المساكين وجالسهم .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : انظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى ما هو فوقك ؛ فإنه أجدر أن

لا تزدرى نعمة الله عنك .

قلت يا رسول الله زدنى .

قال : قل الحق وإن كان مرأ .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتي ، وكفى بك

عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتجده عليهم فيما تأتي .

ثم ضرب بيده على صدره .

فقال : يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب (٢١) كحُسن

الخلق « (٢٢) .

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولاً :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴾ (٢٣) .

□ مزايا القرآن :

وللقرآن الكريم مزايا تميزها عن الكتب السماوية التي تقدمته وهي :

١ - أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنتها التوراة والإنجيل وسائر ما أنزل

الله من وصايا ، وأنه مؤيد للحق الذي جاء بها : من عبادة الله وحده والإيمان برسله ،

والتصديق بالجزاء ، ووجوب إقامة الحق ، والتخلق بكمكارم الأخلاق .

(٢٠) انقطاع إلى طاعة الله وتبيل .

(٢١) شرف .

(٢٢) رواه ابن جبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢٣) سورة آل عمران آية : ٢ ، ٣ ، ٤ .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ (٢٤) وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ (٢٥).

أى أن الله أنزل القرآن الكريم على النبي مقترناً بالحق فى كل ما جاء به ، ومصداقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية التى أنزلها الله على الأنبياء السابقين ، ورقياً عليها : يقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتصحيف ، ثم يأمر الله نبيه أن يحكم بين الناس : مسلمين وكتابين بما أنزل الله فى القرآن متجنباً أهواءهم .

وأنة سبحانه جعل لكل أمة شريعة وطريقة فى الأحكام العملية تناسب استعدادها . أما أصول العقائد والعبادات والآداب والحلال والحرام ومالا يختلف باختلاف الزمان والمكان فإنها واحدة فى الأديان كلها .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٢٦) .

ثم نسخت الأحكام العملية السابقة بالشرعة الإسلامية ، والأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

وأصبحت العقيدة واحدة ، والشرعة واحدة للناس جميعاً .

٢- وتعاليم القرآن هى كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على الدهر، وتحل على الزمن، فصانها من أن تمتد إليها يد التحريف، أو التصحيف، أو التغيير، أو التبديل .

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢٧) .

(٢٤) المقصود من الكتاب هنا الجنس فيشمل التوراة والإنجيل .

(٢٥) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٢٦) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٢٧) سورة فصلت آية : ٤١ ، ٤٢ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢٨).

والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٣- وهذا القرآن الذى أراد الله له الخلود لا يتصور أن يأتى يوم يصل فيه العلم إلى حقيقة ما تتعارض مع أى حقيقة من حقائقه ، فالقرآن كلام الله والكون عمل الله ، وكلام الله وعمله لا يتناقضان أبداً ، بل يصدق أحدهما الآخر، ومن ثم فقد جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب ، تحقيقاً لقوله سبحانه :
﴿ سَتُرِيهِمْ عَيْنِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢٩).

٤- والله يريد لكلمته أن تذاع ، وتصل إلى العقول والأسماع ، وتتحول إلى واقع عملى ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت ميسرة للذكر والحفظ والفهم ، ولهذا جاء القرآن سهلاً ليس فيه ما يشق على الناس فهمه ، أو يصعب عليهم العمل به .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٣٠).

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء ويرددونه فى البيوت والمساجد، ولا تزال أصوات القراء تدوى به فى كل ناحية ، ولا نعلم أن كتاباً من الكتب غير القرآن نال من هذه الميزة بعض ما اختص به القرآن الكريم .

والقرآن بهذا لا يساميه أو يقاربه كتاب آخر فى تأثيره وهدايته ، ولا فى موضوعه وسمو أغراضه . ومن ثم كان خير الكتب وأفضلها على الإطلاق .

□ تحريف التوراة :

إن الإيمان بالتوراة التى نزلت على موسى ، ركن من أركان الإيمان ، وقد أخبر الله أن فيها هدى ونوراً وأثنى عليها بقوله :

(٢٨) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢٩) سورة فصلت آية : ٥٣ .

(٣٠) سورة القمر آية : ١٧ .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُنْقِبِينَ ﴾ (٣١).
 إلا أن هذه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام غير موجودة بالمرّة، كما هو مسلم من الجميع .

أما التوراة المتداولة الآن فقد قام بكتابتها أكثر من كاتب، وفي أزمان مختلفة .
 وقد دخلها التحريف، يقول المرحوم الأستاذ الكبير عماد فريد وجدى :
 « ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود » انتهى .

وقد أثبت القرآن هذا التحريف، ونعى على اليهود التغيير والتبديل الذى أدخلوه على التوراة .

﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا بِالْكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢) .

فهم تجرأوا على كتاب الله، فحرفوه ليخفوا ما فيه من الحق، ونسوا قدراً مما ذكرهم الله به فى التوراة .

فالذى عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط .

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا ﴾ (٣٣) .

وأول دليل على صحة نقد القرآن للتوراة المتداولة، وأنها ليست كلها هى توراة موسى، التى جعلها الله نوراً وهدى، ما جاء فى التوراة من وصف الله بما لا يليق بجلاله وكماله، ففى سفر التكوين (٣ : ٢٢) وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر) .

وفيه « (٦ : ٦) » « فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف فى قلبه » .

فهل يعقل أن هذا من كلام الله، وهل يصح أن ينسب إليه الحزن والأسف على

شئء عمله .

(٣١) سورة الأنبياء آية : ٤٨ .

(٣٢) سورة البقرة آية : ٧٥ .

(٣٣) سورة النساء آية : ٤٦ .

وكذلك ماجاء فيها مما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخلق متين، فقالوا عن إبراهيم: إنه كذاب، وأن لوطاً زنا بابتنته وهرون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل، وداود زنا بزوجة أوريا، وسليمان عبد الأصنام إرضاء لزوجته .

فهل ثمة دليل على التحريف أقوى من هذا، لقد اضطر النقاد من مصلحي اليهود أنفسهم إلى الاعتراف بهذه الحقيقة: وأن التوراة قد حرّفت وقد أورد مذهبهم حاخام باريز أجوليان ويل فى كتابه اليهودية .

□ تحريف الإنجيل :

والإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام هو مثل التوراة التى نزلت على موسى، كلاهما كلام الله، وفيها هدى ونور إلا أن الإنجيل قد لحقه ما لحق التوراة من التحريف :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ .

ويكفى لصحة التدليل على التحريف فى الأناجيل المتداولة بأيدى النصارى الآن، أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين انجيلاً، وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام . ومؤلفوها معروفون، وأسماءهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هى رأى بولس دون سائر الحواريين ودون أقرب الأقربين إلى عيسى .

وقد وجد فى مكتبة أمير من الأمراء فى باريز نسخة من إنجيل برنابه، وقد

(٣٤) سورة المائدة آية : ١٤ .

طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلى العربية، وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة.

□ معنى تصديق القرآن للكتب السابقة:

وإذا كان التحريف فى التوراة والإنجيل ثابتاً ثبوتاً حقيقياً لا ريب فيه بنص القرآن من جهة، وبالأدلة الحسية من جهة أخرى، فما معنى أن القرآن جاء مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية؟ .

· معنى ذلك أن القرآن جاء مؤيداً للحق الذى ورد فيها كما سبقت إليه الإشارة من عبادة الله وحده والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ورعاية الحق والعدل، والتخلق بالأخلاق الصالحة. وهو فى الوقت ذاته مهيمناً عليها ومبيناً ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط، وتحريف وتصحيف، وتغيير وتبديل .

وإذا انتفت هذه الأخطاء التى أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروا على الناس باسم الله ظهر الحق، واستبان، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٣٥).

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف .

□ الطريق إلى الحقيقة:

إن من يبتغى الحق . ويريد الوصول إلى التعاليم الإلهية الصحيحة ، لا يجد أمامه غير القرآن الكريم، فهو الكتاب الذى حفظت أصوله ، وسلمت تعاليمه ، وتلقته الأمة عن محمد، عن جبريل ، عن الله، الأمر الذى لم يتوفر لكتاب مثله . وأنه الجامع لأسمى المبادئ، وأقوم المناهج وخير النظم ، والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد، والعبادات، والآداب، والمعاملات، والنظم، وإنه الكفيل بخلق الفرد الكامل . والأسرة الفاضلة، والمجتمع الصالح، والحكومة العادلة، والكيان القوى الذى

(٣٥) سورة المائدة آية : ٦٨ .

يقوم الحق والعدل ، ويرفع الظلم ، ويدفع العدوان ، وأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلافة ووراثة الأرض .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٦) .

الرسول

- ❖ لكل أمة رسول.
- ❖ الرسول بشر.
- ❖ الرسول رجل.
- ❖ الغرض من بعثة الرسل.
- ❖ عصمة الأنبياء.
- ❖ ما نسب إلى الرسل.
- ❖ ألو العزم من الرسل.
- ❖ حتمية النبوة والرسالة.
- ❖ الأعمال الكبرى التي قام بها الرسول.
- ❖ دلائل صدقه.
- ❖ التبشير بظهوره.
- ❖ آيات الرسل.
- ❖ الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق.
- ❖ الفرق بين المعجزة والكرامة.
- ❖ معجزة خاتم الأنبياء.

أوجب الله على المسلم أن يؤمن بجميع رسل الله ، دون تفریق بينهم ، فقال سبحانه :
﴿ قُلُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ﴾ (١)

وبين أن هذا هو إيمان المؤمنين ، فقال سبحانه :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَأَنْفِرُوا بَيْنَ أَعْدَمِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢)

وأخبر أن البرّ في هذا الإيمان فقال :

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (٣)

وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل ، ولم يؤمن بالبعض الآخر ، وفرق بينهم في الإيمان
فهو كافر: قال سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ
وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ (٤)

وهؤلاء الرسل منهم من قصه الله علينا فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم
يقصه علينا قال سبحانه :

(١) النبي هو من أوحى إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه ، والرسول هو من أوحى إليه بشريعة ليعمل
بها في نفسه وليبلغها غيره .

(٢) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٥) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ (٦)

أما الذين قصهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون . وهم المذكورون فى قوله :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٧).

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولا ، ويجب الإيمان بسبعة آخرين المذكورين فى عدة آيات .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (٩)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ (١٠)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (١١)

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٢)

(٦) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٧) سورة الانعام الآيات : ٨٣ - ٨٦ .

(٨) سورة آل عمران آية : ٣٣ .

(٩) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

(١٠) سورة هود آية : ٦١ .

(١١) سورة هود آية : ٨٤ .

(١٢) سورة الأنبياء آية : ٨٥ ، ٨٦ .

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿١٣﴾ .

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤) .

□ لم تخل أمة من رسول :

وهؤلاء الرسل أرسلهم الله إلى الأمم في جميع العصور المتطاولة ، فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله ، ويرشدها إلى الحق . يقول الله سبحانه :

﴿ تَأْتِيهِمْ لِقْدًا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (١٤) .

﴿ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١٥) .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ (١٦) .

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (١٧) .

□ والرسول من نفس الأمة :

والرسول بشر من نفس الأمة ، وإن كان من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية ليستعد لتلقى الوحي عن الله .

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (١٨) .

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١٩) .

وإنما خص الله الرسول جزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة ، وليكون مثالا يُقتدى به في أمور الدين والدنيا ، ولو لم يتميز رسل الله بهذه

(١٣) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .

(١٤) سورة النحل آية : ٦٣ .

(١٥) سورة فاطر آية : ٢٤ .

(١٦) سورة يونس آية : ٤٧ .

(١٧) سورة الرعد آية : ٧ .

(١٨) سورة الأنعام آية : ١٢٤ .

(١٩) سورة الحج آية ٧٥ .

الخصائص العقلية والروحية بأن انحطت فطرهم أو ضعفت عقولهم لما كانوا أهلاً لحمل هداية الله إلى الناس .

□ والرسول رجل يأكل الطعام :

والرسول رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، يقول الله سبحانه :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٢٠) .

□ والرسول يتزوج :

والرسول يتزوج ويولد له كغيره من البشر .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (٢١) .

□ والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من البشر :

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، واللذة والألم ، والحياة والموت ، إلا أن ما ينزل به لا يعرضه لتغيير الناس منه .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢) .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ (٢٣) .

والرسول أتى رسول لا يتصرف في الكون ولا يملك النفع أو الضر ، ولا يؤثر في إرادة الله ، ولا يعلم من الغيب إلا القدر الذي أراده الله له .

(٢٠) سورة الفرقان آية : ٢٠ .

(٢١) سورة الرعد آية : ٣٨ .

(٢٢) سورة الأنبياء آية : ٨٣ ، ٨٤ .

(٢٣) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤)

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدَّ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (٢٥).

□ الرسول رجل :

ولا يكون الرسول إلا رجلا ، فلم يرسل الله ملكا ، ولا أنثى .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ (٣١) .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٣٧) .

□ الغرض من بعثة الرسل :

والغرض من بعثة الرسل هو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٨) .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢٩) .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

(٢٤) سورة الأعراف آية : ١٨٨ .

(٢٥) سورة الجن آية : ٢٦ - ٢٨ .

(٢٦) سورة الأنبياء آية : ٧ .

(٢٧) سورة الإسراء آية : ٩٥ .

(٢٨) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٢٩) سورة النحل آية : ٣٦ .

﴿إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٣٠).

وإقامة الدين ، وعبادة الله ، تنتظم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تزكى النفس الإنسانية، وتطهرها، وتغرس فيها الخير، لتبلغ الكمال المادى والأدبى فى هذه الحياة، ولتستعد لكمال أرقى، وأبقى .

وهذه التعاليم العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم، وإنما يتعلمونها بوحى الله .

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣١).

وبهذا لاتنضج حجة من أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطاً، قال تعالى :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَيْمَنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ إِذْ دَخَلُوا دَرَجَاتٍ * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣٢).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٣).

قال ابن كثير: يقول الله تعالى خبيراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل: إنه

(٣٠) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٣١) سورة الجمعة آية : ٢ .

(٣٢) سورة النساء آية : ١٦٣ - ١٦٥ .

(٣٣) سورة التوبة آية : ١١٥ .

لا يضل قوما إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (٣٤).

والله سبحانه لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة، ويقطع عذره.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣٥).

□ عصمة الأنبياء (٣٦):

الرسول اصطفاهم الله واختارهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧).

ونزههم عن السيئات، وعصمهم من المعاصي، صغيرها وكبيرها.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلَىٰ﴾ (٣٨).

وحلّاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق، والأمانة، والتخاني في الحق، وأداء

الواجب فمنهم الصديق:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٣٩)

ومنهم من اصطّعه الله لنفسه.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٤٠).

(٣٤) سورة فصلت آية: ١٧.

(٣٥) سورة الإسراء آية ١٥ — استدل الأشاعرة والمالكية والكمال بن الهمام بهذه الآية على أن أهل

الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ناجون وإن عبدوا الأصنام. وذهب أبو حنيفة والماتريدي أنه يشترط

في نجاتهم في الآخرة ألا يشركوا مع الله غيره، لأن معرفة الله الواحد يكفي فيها العقل، والأول

أظهر لأن الله يقول: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله

ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا».

(٣٦) العصمة هي أنهم لا يتركون واجبا، ولا يفعلون محرما، ولا يقترون ما يتنافى مع الحلق الكريم.

(٣٧) سورة آل عمران آية: ٣٣.

(٣٨) سورة آل عمران آية: ١٦١.

(٣٩) سورة مريم آية: ٤١.

(٤٠) سورة طه آية: ٣٩.

﴿فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدِينٍ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسِي وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤١).

ومنهم من هو بعين الله .

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٤٢).

ومنهم من اجتباها الله وعلمه :

﴿وَكَذَلِكَ يَجْجِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَعْقُوبُ كَمَا آتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٣).

وبعد أن ذكر الله جملة من الأنبياء في سورة مريم قال :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلِيمٌ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خُرُوجًا وَسُجْدًا وَبِكْيَا﴾ (٤٤).

وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٤٥).

وهكذا نجد النصوص الكثيرة الواردة في القرآن بشأن الأنبياء والرسل

(٤١) سورة طه آية : ٤٠ ، ٤١ .

(٤٢) سورة الطور آية : ٤٨ .

(٤٣) سورة يوسف آية : ٦ .

(٤٤) سورة مريم آية : ٥٨ .

(٤٥) سورة البقرة آية : ٢٥٣ . وقيل إن أفضلهم خاتم الأنبياء محمد ، ثم إبراهيم ثم يوسف ، ثم نوح ، ثم آدم أبو البشر .

— تفضى عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحى والصورة المثلى للكمال الإنسانى .

ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورط فى الإثم، ومنزهين عن الوقوع فى المعاصى، فلا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرماً، ولا يتصفون إلا بالأخلاق العظيمة التى تجعل منهم القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذى يتجه إليه الناس، وهم يحاولون الوصول إلى كمالهم المقدر لهم .

والله سبحانه هو الذى تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قما شامخة وأهلاً للاصطفاء والاجتباء .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَوْلَادٍ فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا كَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ ﴾ (٤٦)

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴾ (٤٧) .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لِسِرْعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٤٨) .

فهذه الآيات أدلة بينة على مدى الكمال الإنسانى الذى أفاضه الله على أنبيائه ورسله، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم فى القلوب، ولصغر شأنهم فى أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق، بل لو فعلوا شيئاً مما يتنافى مع الكمال الإنسانى بأن يتركوا واجباً، أو يفعلوا محرماً، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوة سيئة، ولم يكونوا مثلاً غالياً، ومنازات هدى .

(٤٦) سورة الأعمام آية : ٩٠ .

(٤٧) سورة الأنبياء آية : ٧٣ .

(٤٨) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .

إن رسل الله يدركون بحسبهم الذى تميزوا به على غيرهم من البشر، أنهم دائماً فى حضرة القدس، وأنهم يبصرون الله فى كل شىء، فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته، وآثار حكمته ورحمته. يرون ذلك فى أنفسهم وفيمن حولهم: فى الأرض وفى السماء وفى الليل والنهار، وفى الحياة والموت، فتمتلىء قلوبهم إجلالا لله ووقاراً له، فلا يبقى فيها مكان للشيطان، ولا موضع لهوى، ولا جنوح لشهوة، ولا إرادة لشىء سوى إرادة الحق والتفانى فيه والاستشهاد من أجله.

وما ورد فى القرآن الكريم بما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره، ويتجلى ذلك فيما تذكره بالنسبة لما نسب لكل نبيّ فيما يلي:

□ آدم عليه السلام:

يقول الله سبحانه:

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (١٩).

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه، وغوى، بمخالفة أمر الله، واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلة وقع فيها.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (٥٠).

ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسياناً منه لعهد الله، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان؛ لأن ذلك تكليف بما لا يطاق، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والأصل فى هذه القاعدة قول الله سبحانه:

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَاتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٥١)

(٤٩) سورة طه آية : ١٢١ .

(٥٠) سورة البقرة آية : ٣٦ .

(٥١) سورة الأحزاب آية : ٥٠ .

وقوله :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (٥٢).

والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسياناً وعن غير عمد، قول الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٥٣).

أى أن آدم نسى عهد الله الذى وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، ولم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه .. وحيث لم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه .. وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة.

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصياناً نظراً لمقام آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، والذى شأنه هكذا يجب أن يكون يقطاً كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه، فهذا : من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

□ نوح عليه السلام :

أما نوح عليه السلام فما وقع منه فهو أنه سأل الله عن هلاك ابنه مع من هلكوا فى الطوفان، مع وعد الله بنجاته ونجاة أهله، فقال :

﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِمِينَ قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (٥٤).

فلم يكن لنوح عليه السلام علم بأن نسب ابنه إليه قد انتهى بكفره وإعراضه عن دعوة الله، فسأل الله كيف هلك مع الوعد بنجاة أهله، وأبنيه من أهله، فعلمه

(٥٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٥٣) سورة سورة طه آية : ١١٥ .

(٥٤) سورة هود آية : ٤٥ - ٤٧ .

الله أن الصلة الدينية والنسب الروحي أقوى من صلة الدم، فإذا انقطعت هذه الصلة ذهبت بصلة النسب والدم، فقال له معلماً إياه: «إنه ليس من أهلك» معللاً ذلك بأن عمله عمل غير صالح، وما دام ذلك كذلك فليس هناك صلة نسبية، وبذلك ينتفى نسبه من أبيه، فلا يكون من أهله الذين وعدوا بالنجاة.

وكان على نوح عليه السلام، وهو الأب الثاني للبشر، الذي بذل حياته لله، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو إلى الله، ويجاهد في سبيله كان عليه أن يفتن لهذا المعنى، وأن يدركه، فلما لم ينتبه إليه، وغلبت عليه عاطفة الأبوة اعتبر ذلك نقصاً بالنسبة لمقامه الرفيع، ومنزلته الكبرى التي حباه الله بها.. ومن ثم فقد لجأ إلى الله أن يغفر له هذه العثرة التي لم يقصد إليها. ولم يكن له علم بها، فقال:

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥٥).

□ ابراهيم عليه السلام:

وجاء في دعاء إبراهيم عليه السلام قوله:

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٥٦).

ونحن لانعرف لابراهيم خطيئة، والذي نعلمه أن الله قد اتخذه خليلاً، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به.

﴿ وَلَقَدْ أَصْطَقَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥٧).

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحْبَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَعَآيِنْتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي

(٥٥) سورة سورة هود آية : ٤٧ .

(٥٦) سورة الشعراء آية : ٨٢ .

(٥٧) سورة البقرة آية : ١٣٠ .

الْآخِرَةَ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٥٨﴾ .

وطلبه من الله أن يغفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن وإنما هى ما يستشعره فى نفسه من قصور فى تفانيه فى الله . وأداء رسالته . نظراً لمكانته السامية ، ومنزلته الرفيعة .

□ يوسف عليه السلام :

والله يقول فى يوسف عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِطِءٍ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٥٩) .

وليس فى هذا ما يدل أدنى دلالة على أن يوسف همَّ بالفاحشة لأن المقصود بالهم هنا الهم بالضرب والأذى .. وذلك أن امرأة العزيز راودته عن نفسه ، فخلقت الأبواب ، ودعته إلى نفسها ، فاستعصم ، وأبى وقال :

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦٠) .

وإزاء هذا الاستعصام والتأبى والترفع عن التسفل ، همت امرأة العزيز بضربه وإلحاق الأذى به ، بعد أن عجزت عن إغرائه بكل وسيلة ، فهتمَّ هو بأن يعاملها بالمثل دفاعاً عن نفسه ، لولا أن رأى أن ذلك لا يليق بأمثاله من أصحاب النفوس الكبيرة ، ولا سيما أن هذا البيت آواه ، وأكرمه ، فضلاً عن أنها سيدته التى تبنته ، وأنها زوجة رجل عظيم فى أمة عظيمة .

فلولا أن رأى ذلك كله ، وهو صاحب شعور نبيل وعاطفة جياشة لقابلها بالمثل ، ولأذاها بالضرب المبرح .

ولكنه كذلك لا يرضى بالاستكانة ، ويقف ذليلاً يتلقى الضربات من امرأة أصابها جنون الشهوة الحيوانية — وهو من هو — فأثر أن يفر منها تفادياً من الحرج الذى تعرض له ، ولكنها أبت إلا أن تتابعه لتثار لنفسها منه .

(٥٨) سورة النحل آية : ١٢٠ — ١٢٢ .

(٥٩) سورة يوسف آية : ٢٤ .

(٦٠) سورة يوسف آية : ٢٣ .

﴿ وَأَسْتَبِقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيْسَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ (٦١).

فكان فى ذلك خلاصه .

والذى يدل على هذا أبلغ دلالة :

أولاً : أن الله آتاه العلم والحكمة .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٢).

ثانياً : أنه أجاب امرأة العزيز بعد المراودة ، بما يدل دلالة قاطعة على أن السوء

لا يخطر على قلبه .

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

فالذى يقول هذا لا يتصور منه المم بالفحش .

ثالثاً : أن الله صرف عنه السوء والفحشاء ، وأخلصه لنفسه .

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٦٣).

ومن كان كذلك لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه إلى سوء أو إلى فحش ،

لا فى القول ولا فى العمل .

رابعاً : أن كل هم فى القرآن إنما يقصد به المم بالأذى كالضرب والقتل .

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ (٦٤).

﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ (٦٥).

وهكذا لو تتبعنا جميع أسباب براءة يوسف عليه السلام من المم بالفاحشة

لوجدناها من الكثرة بحيث لا يتسع لها هذا المختصر .

□ موسى عليه السلام :

(٦١) سورة يوسف آية : ٢٥ .

(٦٢) سورة يوسف آية : ٢٢ .

(٦٣) سورة يوسف آية : ٢٤ .

(٦٤) سورة غافر آية : ٥ .

(٦٥) سورة التوبة آية : ٧٤ .

والله سبحانه يقول في موسى عليه السلام :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ أَبِي سَعْدٍ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٦﴾ .

فوسى عليه السلام دخل المدينة، فوجد فيها مصريا وإسرائيلياً من قومه، وهما يتضاربان، إلا أن الإسرائيلى الذى هو من شيعته وقومه ضعيف غير قادر على مقاومة المصرى، فاستغاث بموسى؛ لينقذه منه، فحدث كما يحدث غالباً فى مثل هذه المواقف أن ضرب موسى المصرى بيده ضربة أصابت منه مقتلاً، ولم يقصد إلى قتله قط وإنما قصد أن يمنع عدوانه عن أخيه، فحدث القتل الخطأ الذى لا مؤاخذه عليه إلا من حيث عدم التحرى والوعى الكامل، ولا سيما لمن هم فى أعلى المستوى البشرى كموسى، ونحوه من أولى العزم، ولذلك رجع إلى ربه ذاكراً خطأه طالباً من الله العفو والغفران.

□ داود عليه السلام :

يقول الله سبحانه فى داود عليه السلام :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخِطَاءِ لِيَبْغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّكَ عَاقِبَتَهُ أَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى

(٦٦) سورة القصص آية : ١٥ .

وَحَسَنَ مَثَابٍ ﴿٦٧﴾ .

وهذه القصة ليس فيها ما يدل على أن داود عليه السلام قد عصى ربه بارتكاب ما ينافى العصمة .

وكل ما يمكن أن يقال فى هذا .. إنه قضى بين الخصمين بعد أن سمع من أحدهما وقيل أن يسمع من الآخر. والتعجيل بالحكم قبل الاستماع إلى الطرفين يعتبر فى نظر القضاء مخالفة ، ولا سيما إذا كان القاضى نبياً كداود عليه السلام ، ممن أوتوا الحكمة وفصل الخطاب .

ويمكن أن يقال أيضاً إنه خاف من تسور الخصمين المحراب ودخولها عليه بغتة وهو بين يدى الله . خاف أن يقتلاه كما كانت عادة بنى إسرائيل من قتلهم الأتبياء ، فكان هذا الخوف ، وهو فى المحراب ومائل بين يدى الله ، مما لا يليق بمكانته وعظيم قدرته وحسن صلته بالله ، مالك ناصية كل شىء .

وسواء أكان ما ينسب إلى داود عليه السلام من العجلة فى الحكم أو من الخوف من القتل ، فقد ظن أنه مُختَبَر بما وقع له ، فاستغفر ربه ، وخر راکعاً منيباً إلى الله راجعاً إليه .

ولا يمكن أن تتضمن القصة التى ذكرت فى القرآن معنى آخر وراء ذلك بما ينتقص من قدر نبىّ عظيم .

وما ذكر من أن المقصود بالنعجة هى المرأة ، وأن داود اغتصب زوجة أحد قواده بحيلة احتالها عليه ، فهو من الاسرائيليات المكذوبة ، ومن الدخيل الذى يتنافى مع عظمة الرسالة ، وكمال النبوة ، وشرف الدعوة التى انتدب الله لها خيار خلقه وصفوة عباده .

□ سليمان عليه السلام :

يقول الله سبحانه فى سليمان عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ

(٦٧) سورة ص آية : ٢١-٢٥ .

لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٦٨﴾ .

والابتلاء الذي تعرض له سليمان وهو المرض الشديد الذي جعل منه جسداً ملقى على الكرسي لا يستطيع معه الحركة — كان سبباً في ضعف نفسه، وضعف مقاومته، فتاب إلى الله من هذا الضعف الذي يعتري البشر عادة، وكان الأجل به يتجمل بالصبر الجميل .

ويقال إن سليمان كان له ولد فاجر انتزع ملكه من أبيه، فكان ذهاب ملك سليمان على يد ابنه الفاجر ابتلاء له، ثم ردّ الله ملكه إليه بعد أن سلب منه، فسأل الله عقد ذلك أن يغفر له ما يمكن أن يكون حدث من تقصير في شكر الله، وسأله أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب الله له .

□ محمد صلوات الله وسلامه عليه :

وجاء في القرآن الكريم :

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ ﴾ (٦٩) .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (٧٠) .

وظاهر الآية الأولى يوهم بأن الرسول ذنباً، وأن عليه أن يستغفر الله .

وظاهر الآية الثانية يفيد بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
والمعروف من سيرة رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، أنه معصوم قبل البعثة وبعدها، فقد عصمه الله من عبث الطفولة وهو الشباب، فلم يله كما كان يلهو غيره؛ لأنه أعد لحمل رسالة الهدى والنور. وقد أشار إلى هذا فيما حدث به عن نفسه فقال: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين. كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة

(٦٨) سورة ص آية : ٣٤ — ٣٥ .

(٦٩) سورة محمد آية : ١٩ .

(٧٠) سورة الفتح آية : ١ — ٣ .

للغلام الذي يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة ، وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة ، سمعت عزفا . فقلت : ما هذا ؟ . فقالوا : عرس فلان بفلاتة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذنى ، فنتمت ، فا أيقظنى إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبى ، فسألنى ، فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة ، فأصابنى مثل أول ليلة .. ثم ما هممت بسوء .» .

وكذلك كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، مدة حياته لا يخطر السوء على قلبه ، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى الذنب الذى أمر أن يستغفر منه ، والذي قد غفر له ماتقدم منه ، وما تأخر ؟ .

مما لا جدال فيه أن الرسول ﷺ كانت تصدر عنه بعض التصرفات التى لم يوح إليه شىء بخصوصها ، بل كان أمرها متروكا إلى اجتهاده الخاص ، فكان فى بعض الأحيان يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن ، متجاوزاً ما هو أحسن منه ، فاعتبر وقوفه عند الرأى الحسن ، وعدم إصابته ما هو أحسن منه ذنباً بالنسبة إليه ، وبالإضافة إلى مكانته من العلم والعقل والفقہ .

وقد ذكر القرآن أمثلة لذلك :

فنها اجتهاده فى أسرى بدر ، وقبوله الفداء ، وقد عتب الله عليه عتياً أبكاه :

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧١) .

أى لولا أن كتاب الله وحكمه سبق بعدم مواخذة المجتهد على اجتهاده لعاقبكم بالعذاب العظيم على قبول الفداء ، وعدم الاثخان فى الأرض .

ولما نزلت هذه الآية بكى رسول الله ، وبكى معه أبو بكر بكاء شديداً ، وقال : [لو نزل عذاب من السماء مانحاً غير عمر] .

(٧١) سورة الأفعال آية : ٦٧ - ٦٨ .

ففى هذه الحادثة لم يكن من الرسول إلا الاجتهاد فى قضية لم يوح إليه فيها بشيء، ولم يخطئ فى حكمه فيها؛ لأن الرسول لا يقر على خطأ، وإنما عدل عما هو أحسن إلى ما هو حسن.

ومنها أنه قبل أعذار المتخلفين عن الغزو دون تمحيص هذه الأعذار؛ ليتبين له من هو صادق ممن هو كاذب.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (٧٢).

ومن ذلك عتاب الله له فى إخفائه أمر زواجه زينب بنت جحش بعد طلاق متبناه زيد بن حارثة لها. وكان الله قد أمره بذلك؛ لبيطل تقليداً من تقاليد الجاهلية، إذ كانت هذه التقاليد تقضى بتحريم زواج زوجة المتبنى، مثل تحريم الزواج بزوجة الابن من النسب، فكان الرسول يجد حرجاً مثل أى إنسان عندما يتحرج من مخالفة التقاليد والخروج على العادات.

وقد رفع الله عنه الحرج بعد العتب اليسير.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٧٣).

وما قيل غير ذلك فهو محض اختلاق.

ومما يدخل فى هذا النطاق قول الله سبحانه:

(٧٢) سورة التوبة آية: ٤٣.

(٧٣) سورة الأحزاب آية: ٣٧، ٣٨.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ *
الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَانْتَ لَهْ تَصَدَّى ٦ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ
يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَانْتَ عَنْهُ نُلْهِى ﴾ (٧٤).

فهذا عتب من الله لرسوله حين طمع فى إسلام بعض صناديد قريش ، فأقبل عليهم يدعوهم إلى الله ، وهم ينصتون له ، ويقبلون عليه .

وفى هذه الأثناء حضر عبد الله بن أم مكتوم ، وأخذ يقاطع الرسول ، ويقول له : علمنى مما علمك الله ، ويكرر ذلك ، فكان الرسول يضيق بهذه المقاطعة ، ويعبس من الضيق ، مع أن الرجل أعمى لا يبصر هذا العبوس ، ومع ذلك عاتبه الله فيه ، فكان لما لقيه بعد — يقول له : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .

ومن هذا ماروى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قرأ قول الله سبحانه :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ﴾ (٧٥) .

تلك الغرائق العلاء ، وإن شفاعتهن لترجى .

فهذا كذب محض وافتراء أحقر من أن يناقش ، وليس فيه صلة بين هذه الأكذوبة وبين قول الله سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧٦) .

فإن الآية تقرر أنه ما من نبي ، ولا رسول تمنى هداية قومه ، واستجابتهم دعوته إلا جاء الشيطان واضعاً أمامه العقبات ، وميشأً له من الوصول إلى الهدف الذى

(٧٤) سورة عبس الآيات : ١ - ١٠ .

(٧٥) سورة النجم آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٧٦) سورة الحج آية ٥٢ .

يستهدفه، إلا أن الله سبحانه يعجل بإزالة ما يلقي الشيطان من وسوسة تيسسه، ويحيى في نفسه الأمل والرجاء.

هذا هو ما نسب إلى رسل الله وأنبيائه، وهو لم يخرج عن كونه هينات هينات لاتصل إلى درجة المعصية، ولا تتنافى مع العصمة، ولا تنقص من أقدارهم السامية، أو تنال من مكانتهم الرفيعة.

ويأبى اليهود والنصارى إلا أن يجرحوا كثيراً من الأنبياء والرسل، وينسبوا إليهم ما نزههم الله عنه، وصانهم منه، بل إن كتبهم ترمى بعض الأنبياء بكبائر الإثم والفواحش.

والنصارى تغالوا في هذا، وبالغوا فيه، ليوجبوا العصمة للمسيح وحده، وهم يقصدون بهذا إقامة الأدلة على أن عيسى إله منزه عن الخطايا من جهة، وأنه جاء ليخلص الإنسان من خطيئة أبيه آدم، والتي ورثها عنه أبناؤه، ويفدى البشر بنفسه من جهة أخرى.

وعقيدة الفداء هذه هي أساس ديانة النصارى، ولكن كتبهم — مع اعتقادنا بتحريفها — تكفى في الرد عليهم.

ففيها نصوص قاطعه بأن يوحنا أفضل من المسيح وأعظم منه، وأنه هو الذى تولى تعميده، وأنه معصوم من كل خطيئة، وأنه لم يشرب خراً قط.

بينما نسب إلى المسيح أنه شرب خراً، كما نسب إليه عدم استجابته للدعوة أمه حينما دعى إليها (٧٧).

ففى إنجيل لوقا (١ — ٦٥) أنه يكون عظيماً أمام الرب وخراً ومسكرأ لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس. وفيه (٦٦) كانت يد الرب معه.

وقال المسيح فيه (متى ١١ : ١١) الحق أقول لكم إنه لم يضم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان.

(٧٧) ونحن ننزهه عن هذا ونعتقد أنه كان وجهاً فى الدنيا والآخرة ومن الصالحين.

وقال فيه (١٨) جاء يوحنا لا يأكل ، ولا يشرب ، فيقولون : فيه شيطان وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون : هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة .

أما عيسى عليه السلام فقد شهدت الأناجيل بأنه أهان أمه ، وهى التى فضلها الله على نساء العالمين .

فقد جاء إنجيل لوقا (٨ : ٢) فأخبروه قائلين : أمك وأخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك ؟ فأجاب وقال : أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ، ويعملون بها .

□ أولو العزم من الرسل :

يقول الله سبحانه :

﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ (٧٨) مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٧٩) .

قيل إن أولى العزم هم كل الرسل ، وتكون من لبيان الجنس .

والمشهور من الأقوال : أنهم محمد ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم صدق الله وسلامه .

وقد نص الله على أسمائهم من بين الرسل فى آيتين :

الأولى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٨٠) .

الثانية :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

(٧٨) العزم : الثبات والصبر .

(٧٩) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .

(٨٠) سورة الأحزاب آية : ٧ .

﴿إِنزِهِمْ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٨١).

□ أفضل الرسل :

أفضل الرسل على الإطلاق هو سيدنا محمد خاتم النبيين .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٨٢).

والذى رفعه الله درجات هو سيدنا محمد .

وأدل دليل على هذا ما جاء فى سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به ، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالإيمان به ونصرته إن هم أدركوا بعثته .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَاءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى
ذَلِكَكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣).

وروى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال :

[والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى] .

وأما منعه صلوات الله وسلامه عليه من التفضيل بين أنبياء الله ، وقوله :

[لا تفضلوا بين أنبياء الله] .

فالقصد منه منع الغلو فى تعظيمهم من جهة ، وكف المسلمين عن تنقيص
أحد من إخوانه الأنبياء من جهة أخرى .

□ ختم النبوة والرسالة :

(٨١) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٨٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(٨٣) سورة آل عمران آية : ٨١ .

الأنبياء جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم كانت مهمتهم أن ينقذوا الناس، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، فكانوا دائماً دعاة الخير، وأئمة الإصلاح وحلة المشاعل في الدنيا المظلمة.. وكان كل واحد منهم يأتي عقب الآخر؛ ليتم ما بناه من قبله، فيزيد في الإصلاح لبنة حتى استكمل البناء بخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة، وكانت دعوته هي الدعوة الجديرة بالبقاء، ففيها عناصر الحياة ودعائم الإصلاح.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٨٤).

وبإكمال دين الله الحق تمت نعمة الله على الناس بما أنزله إليهم من هداية فلا حاجة إلى هداية بعدها.

وبهذا انقطعت النبوة، وختمت الرسالة.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

وإذا كانت النبوة قد انقطعت، فقد انقطعت بالتالي الرسالة، فلا نبوة ولا رسالة بعد نبوة محمد خاتم رسل الله، وفي ذلك يقول، صلوات الله وسلامه عليه:

[مثل ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها، فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة. حُتم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام].

□ الأعمال الكبرى التي تمثل نجاح سيدنا محمد:

إن لرسولنا صلوات الله وسلامه عليه أعمالاً كبرى يتمثل فيها نجاحه في دعوته، وهذه الأعمال يمكن تلخيصها فيما يلي:

(٨٤) سورة المائدة آية: ٣.

(٨٥) سورة الأحزاب آية: ٤٠.

العمل الأول : أنه قضى على الوثنية ، وأحل عملها بالإيمان بالله واليوم الآخر .
العمل الثانى : أنه قضى على رذائل الجاهلية ونقائصها ، وأقام مقامها الفضائل
والمكارم والآداب .

العمل الثالث : أنه أقام الدين الحق الذى يصل بالإنسان إلى أقصى ما قدر له
من كمال .

العمل الرابع : أنه أحدث ثورة كبرى غيرت الأوضاع والقيم ، والقلوب ونظام
الحياة الذى درج عليه أهل الجاهلية .

العمل الخامس : أنه ﷺ وحد الأمة العربية ، وأقام دولة كبرى تحت راية
القرآن .

هذه هى الأعمال التى تمثل نجاح الرسول ﷺ فى مهمته . وهى كما تبدو
كلها أمور كبيرة ، وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان .

وإنه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد فى بعض هذه الأعمال فضلاً عن توفر
النجاح فى كل ناحية من هذه النواحي .

إن القيام بهذه الأعمال والنجاح فيها على هذا النحو هو المعجزة الكبرى
لحضرة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه _ فإذا كان عيسى له معجزة إحياء
الموتى ، وموسى له معجزة العصا ، فإن هاتين المعجزتين فى جانب هذه الانتصارات
وإلى جانب هذه المعجزات لا تساوى شيئاً .

□ دلائل صدقه :

ومن دلائل الصدق على أن الرسول إنما هو مرسل من عند الله ما يأتى .

أولاً : أنه كان زاهداً فى الدنيا ، فلم يكن يطلب على عمله أجراً ، فقد كان
زاهداً فى المال ، وفى كل ما هو مادى ، كما كان زاهداً فى الجاه والمنصب .

أما زهده فى المال فإن طبيعة حياته تدل على ذلك أبلغ دلالة ، فهو لم يفتersh
الحريز ، ولم يلبس الديباج ، ولم يتزين بالذهب . كان بيته كأبسط بيوت الناس ،
وكان يمر عليه الشهران ، ولا يوقد فى بيته نار . قال عروة وهو يسمع خالته عائشة

تحدث بهذا إليه : يا خالتي ما كان يُعَيِّشُكُمْ ؟ قالت : إنما هما الأسودان التمر والماء !!

وذات مرة رأى عمر بن الخطاب الرسول نائماً على حصير بالية، وقد أثر في جسمه، فبكى، فقال له الرسول ما يبكيك ؟ فقال :

ما بال كسرى وقبصر ينمان على الديباج والحريير، وأنت رسول الله يؤثر في جنبك الحصير، فقال ﷺ يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة .

ولقد جاءت الغنائم إلى الرسول بعد انتصار المسلمين، فرأى نساؤه أن يستمتعن بشيء من هذه الغنائم، وطلبن منه أن يكون لهن نصيب منها، فإذا بالآية الكريمة ترد على سؤال هؤلاء النسوة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأُسْرِحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُمْ تَرِيدُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٨٦) .

فجمع الرسول نساءه، وقال لهن : هل تردن الله ورسوله والدار الآخرة، أم تردن الدنيا وشهواتها ؟ فاختارت كل واحدة منهن الله ورسوله والدار الآخرة فدحهن وأنزل في حقهن .

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٨٧) .

ولقد توفى رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودى، وقد عاش طول حياته، وباشيع من خبز الشعير قط .

أما زهده فى الجاه فهو يتمثل فى كل حال من أحواله .

أراد الصحابة أن يمتدحوه، ويثنوا عليه، فقال لهم ﷺ :

(٨٦) سورة الأحزاب آية : ٢٨ .

(٨٧) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

[لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم] .

وجاء الوليد بن المغيرة مندوباً عن المشركين ؛ ليقاوضه ، وعرض عليه من كل متع الحياة ، فكان جوابه أن قرأ عليه افتتاحية سورة حم فصلت .

هذا هو الزهد الذي كان طبيعة من طبائع الرسول ﷺ .

ومن دلائل نبوته عليه السلام أنه كان أمياً ، وأقام هذه الأعمال الكبار وهو أمي لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يدخل معهداً ، ولم يتلمذ على أستاذ ، ولكنه نجح ، وبلغ هذه المرتبة التي لم يبلغها أحد قبله ، ولا أحد بعده .

والقرآن يسجل هذه الحقيقة ليجعلها أمانة صدقه ودليل أمانته ، يقول الله

سبحانه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ

الْأُمُورُ ﴾ (٨٨)

وما كان الرسول يعلم شيئاً من النبوة ، ولا ما يتصل بالذات العلية ، فجرى ان هذه الأعمال على يديه إنما هو دليل الإعجاز .

لأن المتعلمين الذين ينقطعون للعلم والبحث ليعجزون أن يصنعوا شيئاً مما فعله الرسول ﷺ .

ولا ريب أن هذا تأييد وتوفيق من الله تبارك وتعالى . والقرآن يقول :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابٍ

الْمُبْطَلُونَ ﴾ (٨٩)

(٨٨) سورة الشورى آية : ٥٢ .

(٨٩) سورة العنكبوت آية : ٤٨ .

ولقد كان ذلك معروفاً لدى خصومه وكان يواجههم به، ولم يستطع أحد منهم أن يشكك في هذه الحقيقة السافرة. فيقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتَبِهَةٌ بِفِرْعَوْنَ إِنَّهُ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي أَنفْسِي إِنِّي أَخَافُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

أما الناحية الثالثة فهي الصدق، فلم يعلم عن الرسول ﷺ أنه كذب قط قبل البعثة ولا بعدها، ولقد جاءه الوحي، فذهب إلى خديجة، وقال لها: «لقد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

ولقد عرض الرسول ﷺ لأول عهده بالنبوة الإسلام على أبي بكر رضي الله عنه، فصداقه لأول وهلة، وما توقف عن المسارعة إلى الإيمان به؛ لأنه كان يعلم صدقه وأمانته، ودخل أعرابي عليه، فنظر إليه، فوجد الصدق يحوطه، فقال: والله ما هذا الوجه بوجه كذاب.

□ التبشير بظهور خاتم الرُّسل:

لم تخل الكتب الإلهية المتقدمة من التبشير بظهور محمد، ﷺ، ونبوته ففي سفر تثنية الاشتراع (التوراة) بشارة يقول: «أتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير إليهم، وشع شعاعة من فاران، وتقدم إلى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار، ومن يمينه خرج كتاب التقوى».

فالإتيان من طور سيناء يشير إلى ظهور الرب لموسى الكليم. والارتفاع من صير

(١٠) سورة يونس آية: ١٦، ١٧.

يشير إلى استيلاء داود على صير. وأما فاران فهو اسم أرض الحجاز القديم حيث ظهر محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من سلالة إبراهيم عليه السلام.

وأما التقديم إلى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار فهو إشارة إلى النبي محمد ﷺ فقد دخل مكة يصحبه عشرة آلاف من أنصاره يوم فتح مكة.

ومن يمينه خرج كتاب التقوى: يشير إلى الشريعة التي خرج بها محمد ﷺ على العالم والتي لازال نورها يضيء كل ماله شأن بالدين والدنيا من حياة عامة وخلق اجتماعي.

وفي انجيل يوحنا: الاصحاح الرابع عشر ١٣، ١٥٥.

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزيا آخر؛ ليكث معكم إلى الأبد: روح الحق».

وهذا مثل ما جاء في القرآن الكريم من أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين.

وفي انجيل يوحنا: اصحاح ١٤ - ٢٦.

«أما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء» وهذا مثل قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١١)

وفي يوحنا أيضاً اصحاح ١٦ - ١٢.

«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ولكن متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدهم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يأتي».

وهذا يتفق مع قول الله سبحانه:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (١٢)

(١١) سورة النحل آية: ٨٩.

(١٢) سورة الإسراء آية: ٨١.

□ محمد ﷺ ، دعوة إبراهيم وبشرى عيسى :

ولقد سجل القرآن الكريم أن محمدا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، كان استجابة لدعوة إبراهيم ، كما كان بشرى بشرى عيسى عليه السلام ، ففي سورة البقرة يحكى القرآن الكريم أن إبراهيم واسماعيل كانا يدعوان الله ، وهما يرفعان القواعد من البيت ، فيقولان :

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٣)

وفي سورة الصف يقول الله سبحانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَبِّ ارْسُلْ إِلَيَّ الْكِتَابَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١٤)

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة قال :

«قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى» .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه . إن هذه الآية التي فى القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٥)

قال فى التوراة .

«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، وحرزاً للأمين، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عمياء ، وآذاناً صماء وقلوباً غلفاً» .

□ آيات الرسل :

(١٣) سورة البقرة آية : ١٢٩ .

(١٤) سورة الصف آية : ٦ .

(١٥) سورة الأحزاب آية : ٤٥ .

لم يرسل الله رسولاً ليبلغ الناس الدين، ويعلمهم الشريعة، إلا وأيده بالآيات التي تقطع بأنه مرسل من عنده، وأنه موصول بالملأ الأعلى يتلقى عنه، ويأخذ تعاليمه منه.

وهذه الآيات التي يؤيد الله بها رسله لا بد أن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم، كما يجب أن تكون مخالفة للسنن الخاصة بالمادة، وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة.

ولذلك سمى العلماء هذه الآيات بالمعجزات، لأنها تعجز العقل عن تفسيرها كما تعجز القدرة الإنسانية عن الإتيان بمثلها.

وعرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة، الذي يجريه الله على يدي نبي مرسل، ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته.

ومن ثم كانت المعجزة ضرورية، وإظهارها واجباً؛ ل يتم بها المقصود من تبليغ الرسالة، وتقام بها حجة الله على الناس.

وهذه الآيات ممكنة في ذاتها، والعقل لا يمنعها، والعلم لا ينفيها، والواقع يؤيدها.

فقد قام رجال وادعوا أنهم رسل الله، وتحدوا أهمهم بما أظهره من هذه الخوارق، وراها الناس عياناً، وآمن بها ألوف وألوف عبر القرون والأجيال.

بل إن العلم الحديث نفسه أثبت أن النواميس الطبيعية يمكن تحفيها عن إحداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها، كما أثبت العلم أيضاً أن معجزات الأنبياء كلها صحيحة.

والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الأرواح، وعجائب استحضارها، وغرائب التنويم المغناطيسي، وما إلى ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور ممكنة، وليس شيء منها بمحال أصلاً.

والمؤمنون بالله لا يتوقفون في تصديق شيء، متى ثبت بالدليل القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك؛ لأنهم يعلمون أنه، سبحانه، لا يتقيد بالسنن التي وضعها

فهم يعلمون بأن الذى قدر على جعل النار محرقة قادر على سلبها خاصة الإحراق كما فعل مع « ابراهيم » حين ألقى فى النار، فلم يحترق .

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * فَلَنَبَايَعُوكَ فِي بَرٍّ دَا * وَسَلَّمَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٦)

وهم يعلمون أن الذى قدر على خلق الإنسان من ذكر وأنثى، وخلق آدم من تراب، قادر على أن يخلق من السيدة مريم العذراء بدون لقاح طبيعى أو صناعى .

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۗ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۗ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (١٧)

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٨)

وهم يؤمنون بأن الذى أعطى المرأة الولود القدرة على الأخصاب قادر على يعطى العقيم هذه القدرة، كما فعل ذلك لأم يحيى بن زكريا، عليها السلام .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١٩)

(١٦) سورة الأنبياء آية : ٦٨ ، ٦٩ .

(١٧) سورة مريم آية : ٢١ .

(١٨) سورة الأنبياء آية : ٦٩ .

(١٩) سورة آل عمران آية : ٣٨ - ٤٠ .

وهكذا يرى المؤمنون بالله أن الله خالق الكون، ومدبر أمره، وواضع سننه لا يتعبد بهذه السنن الظاهرة، وأن وراء هذه السنن سنناً أخرى فوق ما نعرف، وأن الكون ليس كما يزعم السطحيون من الماديين، ميكانيكياً يسير حسب ما يتصورون، وأنه ليس له مدير يدبر أمره، وينظم شؤنه.. لا. إن الكون أكبر مما يتصوره هؤلاء وأعظم، وما عرفوا منه إلا الأسهاء التي يسترون بها جهلهم، وينفسون بها عن غرورهم.

وإن الأمر كما قال القرآن الكريم:

﴿ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا ﴾ (١٠٠)

وجاء فى كتاب « الإسلام مع الحياة » بعنوان [العلم الحديث ورد الشمس] .

جاء فى قصص الأنبياء: أن يوشع بن نون كان فى معركة مع أعداء الله وكانت الشمس تغرب قبل أن ينتهى القتال، فخشى أن يعجزوه إذا امتد القتال إلى اليوم التالى، فقال للشمس: أنت فى طاعة الله، وأنا فى طاعة الله، فأسألك أن تقفى حتى ينتقم الله من أعدائه قبل الغروب، فاستجاب الله الدعاء، ووقفت الشمس، وزيد فى النهار حتى تم النصر ليوشع.

وقال الله تعالى:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٠١)

قال المفسرون: إن موسى عليه السلام ومن معه هربوا من فرعون لخوف القتل ولما انتهوا إلى البحر، ولم يجدوا سبيلاً إلى ركوبه أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه، وحينما امتثل ما أمر الله به تجمع الماء على الطرفين بعضه فوق بعض، حتى صار كالجبل، وخرج موسى وأنصاره، وتبعهم فرعون وقومه فى نفس الطريق، فأغرقهم الله، وكان البحر ييسأ فى طريق موسى، وماء فى طريق فرعون.

(١٠٠) سورة الإسراء آية: ٨٥.

(١٠١) سورة الشعراء آية: ٦٣.

وكذب الكافرون كلاً من المعجزتين أو الحادثتين .

أولاً : لأنها خرق لقوانين الطبيعة .

ثانياً : لو صححت لجاء ذكرها فى غير الكتب الدينية ، لأنها من الأحداث العالمية العجيبة .

وقرأت فى جريدة الجمهورية عدد ١٣ - ١٢ - ٥٧ - أن كتاباً فى علوم الطبيعة ظهر حديثاً ، وقد أثار ضجة كبرى فى الأوساط العلمية ، ولدى المؤرخين حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة أنشقاق البحر ، ووقوف الشمس فى كبد السماء .

أما المؤلف فهو عالم روسى من علماء الطبيعة اسمه « إيمانويل فليكوفسكى » درس العلوم الطبيعية فى جامعة أدنبرج ، ودرس التاريخ والقانون والطب فى جامعة موسكو ودرس علم الإحياء فى برلين وفى زيورخ ، ودرس الطب النفسى فى فينا ، ولقد خرج المؤلف من أبحاثه التى استمرت أكثر من عشر سنوات إلى استنتاجات علمية تؤيد بدون قصد ما جاء فى القرآن الكريم وسيرة الأنبياء :

وقد رأيت أن أنقل للقراء مقتطفات من الكتاب كما ترجمتها ، ونشرتها جريدة الجمهورية .

قالت الجريدة : يقول المؤلف : إن نيزكهاثلاً مر إلى جوار الكرة الأرضية فى عهد يوشع خليفة موسى عليها السلام . ثم عادت الظاهرة إلى الوجود بعد ذلك بسبعمائة عام .. وهذه الظاهرة الكونية الماثلة التى تسيرها قوى خارقة غير مرئية تفسر المعجزات التى جاء ذكرها فى الكتب السماوية والتوراة والانجيل والقرآن .

إن اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعددة ، منها أن دوران الأرض حول نفسها يقل أو يقف حتى يخيل إلى الناس أن الشمس قد وقفت فى كبد السماء ، ومنها انشقاق البحر وانعقاد أعمدة من الغمام فى النهار والليل ، ولقد مر كوكب فى عهد الفراعنة ، فأمطر الأرض سيلاً أحمر طبع الأرض والنيل والبحر بلون الدم . وهذا يؤيد ما جاء فى الآية الكريمة :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ﴾ (١٠٢)

وقد تساقط هذا التراب الأحمر فى جهات متفرقة من الأرض .

إن المعجزة التى تخزق كل قوانين الفلك والطبيعة لاتصنعها سوى قدرة الخالق وحده .

لقد تمت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر ، فتابعه فرعون بجيوشه ، ولكن انشق البحر ، فر موسى ومن معه بسلام حتى إذا اتبعهم فرعون وجنوده عاد البحر إلى سيرته الأولى ، فانطبق على المطاردين ، وابتلع الرجال والفرسان ولم ينج منهم أحد .

ويقول المؤلف : إنه فى العهد الذى يقابل عهد موسى ، يقول المؤرخون الصينيون إن الشمس آنذاك لم تغرب حتى لقد حرقت الغابات ، وذاب الجليد . وهكذا لبثت الأرض ساكنة كأن قوة جبارة قد صنعتها ، ولا يعرف على وجه التحديد كم استمر وقوفها قبل أن تتابع دورانها حول نفسها مرة أخرى .

ولكن هل تابعت الأرض دورانها فى نفس الاتجاه ؟

إن الأرض الآن تدور من الغرب إلى الشرق ، فهل كانت هكذا دائماً ، إذا رجعنا فى الإجابة على هذا السؤال إلى الخرائط القديمة فإن الإجابة هى لا ، لأن الخرائط التى رسمها قدماء المصريين فى سقف أحد المعابد تدل على أن الأرض كانت تدور قبل وقوفها من الشرق إلى الغرب ، وهذا ما أكده أفلاطون فى حوارهِ عن السياسة حيث قال :
إن الشمس من قبل كانت تغيب حيث نراها تشرق ، وهذا يفسر الآية الكريمة .

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (١٠٣)

□ الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق :

ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق .

(١٠٢) سورة الأعراف آية : ١٣٣ .

(١٠٣) سورة الرحمن آية : ١٧ .

العادات، فإن المعجزات تأتي مصحوبة بالتحدى، وتصدر عن رجال عرفوا بالتقوى والصلاح، وأنهم بلغوا منها الذروة التي لا يتناول إليها أى إنسان .

وتأتى المعجزات بدون كسب لأحد من البشر، فالله هو الذى يدهم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست فى مقدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس، وإنما هى آية من الله وحده، ومعجزة لنبيه يتحدى بها معارضيه ..

وأما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو كما قال الشيخ رشيد رضا . منقول عن جميع الأمم فى جميع العصور، نقلاً متواتراً فى جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقة .

فإن منها ما له أسباب مجهولة للجمهور، وإن منها ما هى صناعى يستفاد بتعليم خاص، وإن منها لمن خصائص قوى النفس فى توجيهها إلى مطالعها، فى تأثير أقوياء الإرادة فى ضعفائها .

ويدخل فى هذين الأمرين المكابدة فى بعض الأمور، أن التنويم المغناطيسى يشفى بعض المرضى، ولا سيما المصابين بالأمراض الفظيعة التى يؤثر فيها الاعتقاد والوهم، ثم يقول :

ومنها انخداع البصر بالتخيل الذى يحنقه المشعوذون، ومنه ما فعله سحرة فرعون المعنى بقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَلْقِ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ﴾ (١٠٤)

ومن انخداع السمع كالذى فعله الذين يدعون استخدام الجن إذ يتكلمون ليلاً بأصوات غريبة عن أصواتهم المعتادة؛ فيظن مصدقهم، أن ذلك صوت الجن وقد يتكلمون نهاراً من بطونهم من غير أن يحركوا شفاههم؛ فلا ينبغى أن يوثق بشيء من أخبارهم .. الخ .

فأين هذا من معجزات الأنبياء وآيات الرسل .

أين هذا من انشقاق البحر لموسى، وإحياء الموتى لعيسى، وإخراج الناقة من

(١٠٤) سورة طه آية : ٦٦ .

الصخرة لصالح ، ونبع الماء من أصابع محمد صلوات الله وسلامه عليه .

□ الفرق بين المعجزة والكرامة :

والكرامة هي ما يكرم الله به أوليائه بما يظهر على أيديهم ، وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة ، ولا خارجة عن مألوف الناس .

ومن الكرامة الاستقامة ، والتوفيق إلى طاعة الله ، والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق إلى الحق .

وقد يحدث بعض الخوارق للعادات على أيدي بعض الصالحين في بعض الأقوال فيعد ذلك من الكرامات التي تلازم بعض المخلصين والمتفرغين لعبادته ، والذين سلمت فطرتهم وزكت نفوسهم ، كما وقع للسيدة مريم ، وقد حكى القرآن الكريم عنها أنه :

﴿ كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠٥)

ولكن مع ذلك لا يتحدى بها ، بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان ، قال الشيخ أحمد الرفاعي : إن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، وهذا يخالف المعجزة ، لأن إظهارها واجب لئتم بها تبليغ الرسالة .

□ معجزة خاتم الأنبياء :

ما بعث رسول الله رسولا إلا وقد أيدته بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة للناس ، والخارجة عن مقدور البشر ، ليكون إظهارها على يديه مع بشريته دليلاً على أنه مرسل من عند الله .

فعدم حرق النار لإبراهيم ، وناقاة صالح أو عصي موسى ، وما ظهر على يدي عيسى (١٠٦) من العجائب ، كلها من هذا القبيل .

(١٠٥) سورة آل عمران آية : ٣٧ .

(١٠٦) كان السحر اشتهر في عهد موسى ، وكان طب إنكار الروح في عهد عيسى ، وكانت البلاغة في عهد محمد . فكانت معجزة كل نبي حسب ما اشتهر على عهده ، مع ملاحظة أن المعجزة فوق مقدور البشر ، فهي أعلى مستوى وأرفع قدراً .

وكانت الآيات حسية يوم أن كان العقل الإنسانى فى الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد، ويوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الجماهير مبلغاً لا تملك معه إلا الإذعان والتسليم .

فلما بدأ النوع الإنسانى يدخل فى سن الرشد، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء، لم تعد تلك العجائب هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

ولم يعد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شىء رآه خارجاً عن عرف الحياة .

إنه يريد شىئاً جديداً يتناسب والطور الذى وصل إليه . يريد الإيمان الذى لا تخالطه الشكوك، واليقين الذى يبدد ظلام الشبهات .

وما كان الله ليمد النوع الإنسانى فى طفولته بما يحفظ به حياته الروحية، ثم يدعه بعد أن أخذ مسيله إلى النظر العقلى، والاستقلال الفكرى دون أن يقيم له من الأدلة ما يتناسب والارتقاء الذى انتهى إليه، فكان أن بعث محمداً ﷺ، وأيده بالمعجزة العلمية، والحجة العقلية، وهو القرآن الكريم .

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١٠٧)

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

[ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلتى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة] .

وهذا القرآن ليس من تأليف أحد، إنما هو وحى الله أنزله على أكمل صورة من صور الوحي .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾

(١٠٧) سورة الإسراء آية : ٨٨ .

فِيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿١٠٨﴾

فالأية تقرر أنواع الوحي الثلاثة :

(أ) «وحيًا» أى إلقاء المعنى فى القلب المعبر عنه بالنفث فى الروح وفى

الحديث :

[إن روح القدس نفث فى رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجللوا فى الطلب] .

(ب) الكلام من وراء حجاب ، وهو أن يسمع الموحى إليه كلام الله ، من حيث لا يراه ، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة .

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ حَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

(ج) ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسوله ، فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن الحارث بن هشام ، سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى فأعنى ما يقول :

قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

وأكمل هذه الأنواع هو إرسال الرسول بالوحي .

(١٠٨) سورة الشورى آية : ٥١ .

(١٠٩) سورة القصص آية : ٣٠ .

وهذه الصورة هي التي نزل بها القرآن الكريم، فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١١٠)

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١١)

جاء هذا الوحي ثورة على الباطل في كل صوره، وعلى الفساد في جميع مظاهره، فثار على المخرفات التي لوثت العقول، وعلى الانحراف الذي شوه الفطر، كما ثار على العرف الفاسد الذي عطل حرية الفكر واستقلال الإرادة.

ثار على هذا كله ثورة عاتية دمرت كل معالم الشر، وبعث كل لون من ألوان الفساد واستبدل بها الحقائق التي تهدي العقل، وتثير الضمير وتسمو بالنفس؛ لتصل إلى أقصى ما قدر لها من الكمال الإنساني.

ولم تكن هذه الثورة تستهدف مصلحة ذاتية، ولا منفعة وطنية، ولا ترجيح كفة جماعة حاكمة على كفة جماعة أخرى، ولا إثارة مذهب على مذهب، وإنما كانت لخير العالم كله ومصلحة الناس جميعاً.

جاء هذا الوحي ليحل المشكلات التي أعضلت الناس قديماً وحديثاً.

وليوجب على كل سؤال من هذه الأسئلة :

- ١- ما هو الدين وما مبادئه ؟
- ٢- من هو الله ؟ وما صفاته ؟
- ٣- ما هي الرسالة ؟ ومن هم الرسل ؟ - 'وظائفهم' ؟
- ٤- ما ماهية الحياة بعد الموت ؟
- ٥- ما هو الخير ؟ وما هو الشر ؟

(١١٠) سورة الشعراء آية : ١٩٢ - ١٩٥ .

(١١١) سورة البقرة آية : ٩٧ .

- ٦- لماذا خلق الإنسان ؟ وما مركزه فى الكون ؟
 ٧- ما علاقة الإنسان بغيره ؟ وما علاقة الأمم والشعوب بعضها ببعض ؟
 ٨- ما علاقة الرجل بالمرأة ؟
 ٩- ما هى الثروة ؟ وما مصدرها ؟ وما هى كيفية توزيعها ؟
 ١٠- ما هى الحياة الطيبة ؟ وما السبيل إليها ؟

وهكذا يمضى القرآن يضع أمام العقل الإنسانى مئات المسائل التى لا يستغنى عنها فى دور العلم والفلسفة، والتى تعجز جميع العقول الإنسانية عن الإحاطة بعشر معشارها، فضلا عن الإحاطة بها كلها، والتى يحتاج إليها فى قطع مرحلة هذه الحياة لتكون أعلاما هادية، تجنبه الضلال فى شئون الدين والانحراف فى تقلبات الدنيا.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفَدْتَ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴾ (١١٢)

كل هذه المسائل جاءت فى أسلوب بلاغى رائع يملك على المرء حسه ويستولى على مشاعره، ويوقظ حواس الخير فيه، مع بعده عن الاختلاف، وسلامته من التناقض.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١١٣)

إنه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا القرآن، من سمو الموضوع، وسحر البيان، وقوة التأثير مما وجه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه، ومعانيه وعقائده، وآدابه وأحكامه، وتشريعاته. فخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والأدب، لا تزال ولن تزال المادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

(١١٢) سورة لقمان آية : ٢٧.

(١١٣) سورة النساء آية : ٨٢.

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿١١٤﴾

هذه هي المعجزة التي أيد الله بها نبيه الأُمِّي، والتي غير بها نفوساً، وأحيا قلوباً وأنار بصائر، وربى أمة، وكون دولة، فى سِنِيّ تعد على الأصابع .

إذا كان قلب العصا حية معجزة فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ فى الإعجاز .

وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه فإن إحياء أمة أُمِّيّة من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية، هو الخارق الذي تتضاءل فى جوانبه جميع المعجزات .

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفىء القنديلا

الروح

- ❖ الإنسان جسد وروح.
- ❖ العلم الحديث والمباحث الروحية.
- ❖ حدوث الروح.
- ❖ الروح والنفس.
- ❖ الروح بعد مفارقتها للجسد.
- ❖ السؤال فى القبر.
- ❖ مستقر الأرواح.

□ الإنسان مركب من جسد وروح :

فبالجسد يتحرك ويمس .

وبالروح يدرك ، ويعى ويفكر، ويعلم، ويمتار، ويجب، ويكره وأصل الجسد التراب، وهذه قضية مسلم بها، فإن الإنسان لا يكاد يموت حتى ينحل إلى عناصره الأولى التى لا تختلف عن باقى عناصر الأرض .

فلو أخذ الإنسان جزءاً من تراب الأرض الخصب، وحللها تحليلاً كيميائياً لوجدتها تتركب من عدة عناصر، ولو أخذ قطعة من جسم الإنسان وأجرى عليها عمليات التحليل لوجدتها تتركب من هذه العناصر نفسها .

وقد أحصى العلماء العناصر التى يتألف منها جسم الإنسان .

وقالوا: أنه به من الكربون ما يكفى لعمل ٩ آلاف قلم رصاص، وبه من الفسفور ما يكفى لعمل ٢٠٠٠ رأس عود كبريت، وفى الإنسان حديد، وجير، وبوتاسيوم، وملح، ومغنسيوم وسكر، وكبريت، وهى كلها من المعادن التى تتألف منها تربة الأرض .

أما الروح فإن أمرها كان ومازال مثار لجدل ونقاش بين العلماء والفلاسفة ولم ينتهوا فى شأنها إلى رأى حاسم بعد .

أما القرآن، فقد أجاب عن التساؤل الذى ثار حولها إجابة بعد معجزة من معجزاته الكثيرة :

﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

فالروح من أمر الله الذى لا يعلمه غيره، ولم يطلع عليه أحداً سواه، ولم يُعط الإنسان الوسائل التى توصله إلى هذا اللون من العلم والإحاطة به، فعلم الإنسان قليل ومحدود، وهو لم يدرك حقيقة المادة، ولا الكون المحسوس المحيط به، فكيف يتطلع إلى إدراك سر من أسرار الله، وغيب من غيوبه؟؟

(١) سورة الإسراء آية: ٨٥ .

إن كل ما يمكن أن نعرفه عن الروح هو أنها تحمل فى الجسم، فتدب فيه الحياة ويظهر فيه الإدراك، والوعى، والتفكير، والعلم، والإرادة، والاختيار، والحب، والبغض، وأنها تفارق الجسم، فيتحول إلى مادة هامة جامدة كسائر المواد.

ومن ثم فقد كانت الروح هى الميزة للإنسان عن غيره فى هذا العالم، وبها صار عالماً وحده، وبالروح أسجد الله للإنسان ملائكته، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه، وجعله سيد هذا الكون، وخليفته فى الأرض.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

وقد عرفها العلماء من المسلمين، بأنها ذات مجردة عن المادة، وأنها جسم نورانى علوى حى، يغير هذا الجسم المادى، ويسرى فيه سريان الماء فى العود الأخضر، لا يقبل التحلل ولا الانقسام، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها، مادام الجسم صالحاً لقبول الفيض.

□ العلم الحديث والمباحث الروحية :

وجود الروح متفق عليه فى الأديان السماوية كلها . وظل الملايين من البشر يعتقدونه، ويؤمنون به منذ عرفوا هذه الأديان . حتى كان المذهب المادى الذى انتشر فى القرون الثلاثة الأخيرة . فأخذ ينكر هذه الثنائية بقوة، ويعلن أنه ليس هناك عالم سوى هذا العالم المنظور، وأنه ليس شىء سوى المادة، وأنه لا مكان للروح فى هذا الوجود .

ولقد تأثر كثير من الناس بهذا المذهب، ووجد له معلمون وأنصار فى كل مكان، حتى كاد يطمس على كل معتقد دينى، ويطفى على كل ما عرفه الناس من التعاليم الإلهية، وجرف معه العلوم الطبيعية فى هذا الاتجاه . إلا أن الله سبحانه قيض من العلماء من يتدارك هذا الأمر، ويقيم الأدلة العلمية على وجود عالم روحانى وراء هذا العالم المنظور بما لا يدع مجالاً للشك، ولا موضعاً للارتياب، فتأسست جمعيات لدراسة المباحث الروحية . وقد ثبت لها من الحقائق ما لم يكن

(٢) سورة الحجر الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

يخطر على بال ، ونحن نذكر ما كتبه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى «رحمه الله» فى ذلك قال :

فى تاريخ تأسيس جمعية المباحث الروحية فى إنجلترا سنة ١٨٨٢ :
جاء فى كتاب الشخصية الإنسانية . للعلامة الأستاذ (هـ . و . ميرس) . مدرس علم النفس فى جامعة كمبردج ماأتى :

«حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى قد أوغل فى البلاد حتى وصل إلينا، وبلغ أوج سطوته على العقول» .

اجتمع ثلة من الزملاء فى كمبردج، وأجمعوا رأياً على أن هذه المسائل العويصة المتنازع فيها . «يريد المباحث الروحية» تستحق التفاتاً، وجهداً جدياً أكثر مما عولجت به إلى ذلك الحين، وكنت أرى أنا أن محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل إلى ذلك الوقت للبت فى : هل نحن أهل، أو غير أهل للإلام بشيء يتعلق بالعالم غير المرئى ؟ وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكن معرفة شيء من ذلك العالم على أسلوب يمكن العلم أن يقبله، ويحفظه، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة، ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة، وبتطبيقنا على الظواهر التى تحدث فىنا أساليب المباحث المضبوطة نفسها فإنها منزهة عن الهوى، ومتروى فيها، أقصد بها تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفتنا عن العالم المرئى المحسوس .

فالمباحث التى يجب علينا عملها ولا يمكن أن تقتصر على تحليل ساذج للأسانيد التاريخية، أو التى صدرت عن هذا الوحي، أو ذاك مما حدث فى الزمان الماضى، ولكن يجب أن تؤسس قبل كل شيء — ككل بحث علمى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم، مؤملين أن تزيد عليها غداً، فلا يمكن أن تكون إلا مباحث مؤسسة على هذه القضية . وهى : «إذا كان يوجد عالم روحانى . وكان هذا العالم الروحانى موجوداً فى أى عهد كان . وكان قابلاً لأن يظهر ويستكشف، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه» .

«فن هذه الوجهة، وبالجرى على هذه الاعتبارات العامة، واجهت الجمعية التى أنا عضو فيها هذه المسألة» .

ثم أخذ الأستاذ «ميرس» يسرد التجارب التي عملها، وعملها غيره مما لا سبيل إلى نشره هنا ثم قال: ما هي الأدلة التي تحملني على الاعتقاد بأن كل هذا ليس بصحيح؟ هذا سؤال يجب أن يضعه كل إنسان نصب عينه، إذ التوصل إلى التَّحَقُّقِ بغير طريق التأمل من الجهل المطلق الذي هو عليه باهية الوجود الحقيقية.

«إني أعتز في كل حال بأن معارفى فيما هو مرجح أو غير مرجح في الوجود لم تظهر لى كافية لرفض مشاهدات يظهر لى بحق أنها حقيقية، وأنها مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات وأصول عامة أكثر منها تأسيساً، ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعاً فإنه حتى باعتراف ممثلى العلم الرسمى — ليس إلا نظرة عَجَلَى في العالم المجهول، وغير المتناهى للنواميس الطبيعية» أ. هـ.

هذا هو تاريخ تكوُّن جمعية المباحث الروحية بلوندره سنة ١٨٨٢. من أقطاب العلم فى انجلترا، ولا تزال باقية الآن.

وقد جمعت من التجارب الروحية ما وقع فى نحو أربعة وخسين مجلداً. وهو ذخى علمى لم يوجد له مثيل قط فى أى عهد من عهود العقلية الإنسانية، فإذا أراد قراؤنا أن يدركوا مقام هذه الجمعية فى نظر رجال العلم، فليقرأوا ما كتبه عنها الأستاذ الكبير وليم (٣) جس فى كتابه إرادة الاعتقاد.

قال فى الصفحة ٣١٣:

«إن جمعية المباحث الروحية التى يمتد عملها فى انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يتلاقى العالمان: العلمى والروحانى فى مجال واحد، وإنى أعتبر أن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الإنسانية، فلماذا أستحسن أن أفضى إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز، فأقول:

«إذا صدقنا الجرائد. وأوهام الصالونات — خيل إلينا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الجامع بين أعضاء هذه الجمعية، وأن حب

(٣) وهو مدرس علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة. ويعتبر بلا منازع أعظم علماء النفس فى القرن التاسع عشر، وأن تلميذه وليم مكديوجل أستاذ علم النفس بجامعة ديوك — يعتبر عمدة فى علم النفس الاجتماعى — وهو من أعظم علماء النفس فى القرن العشرين!

العجائب هو الأصل المحرك لها، والواقع أنه يكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة، فإن رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ «سدجويك» المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد، وأعضاهم قياداً في الشك بجميع البلاد الانجليزية. ووكيلاها. «المستر ارثر بلفور» «والأستاذ.. ج - ب لنجلى» سكرتير الجمع العلمي.. ويمكن التنويه. من أعضائها العاملين «بالأستاذ.. ريشيه الفيزيولوجي» الفرنسي الخطير، وتشمل قائمة أعضائها رجالاً آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم، فإذا طلب إلي أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها متقاة بأدق أساليب التحييص. فإنني أنوه بمحاضر جمعية المباحث الروحية، فإن الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التي طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء في باطن الجمعية نفسها (٤)» أ. هـ.

وقبل أن تتألف هذه الجمعية حمل الرأي العام الجمع العلمي الإنجليزي على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية، وتمحيصها، فندبت ثلاثاً وثلاثين عالماً من أعلامها للقيام بهذه المهمة العلمية، فبدلوا في تحقيق هذا الموضوع ثمانية عشر شهراً، ثم حرروا تقريراً إجماعياً وقع في ٥١٤ صفحة، وطبع في أكثر اللغات الحية، جاء في آخره مانعه:

«عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالأعضاء لأجل نفى كل احتمال في إعداد آلات لإحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أي نوع كانت:

«وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة، أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا، لأن واسطتها كان أحد أعضاء اللجنة. وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الإجتماعية. وحاصل على صفة النزاهة المطلقة. وليس له من غرض مالى يرمى إليه. ولا أية مصلحة في غش اللجنة».

«كل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن نتخيله من

(٤) ولا تزال هذه الجمعية قائمة الآن في انجلترا وأمريكا وهي تقبل في عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمتأهضين لهذه الفكرة، وكل ما تشترطه هو الإهتمام بالروح كظاهرة طبيعية.

التحولات. عملت بصبر وأناة وقد دُبِّرَت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف، واستخدمنا لما كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا، وإيجاد كل احتمال لتزوير، أو توهم».

«وقد اكتفت اللجنة فى تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس، وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع»..

«وقد بدأ نحو أربعة أخماس أعضاء اللجنة تجاربهم، وهم فى أشد درجات الإنكار لصحة هذه الظواهر، وكانوا مقتنعين أشد الاقتناع بأنها كانت إما نتيجة التدليس، أو التوهم، أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات، ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون للغاية عن افتراضاتهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا يمكن مقاومته فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة.

وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها».

هذا ماورد فى ذيل ذلك التقرير الضخم. ولسنا فى حاجة لأن نقول: «إن هذا أكبر حدث سجل فى تاريخ العلم.

ومن العبث المحض أن يتوهم متوهم أن الحقيقة تضيع، أو أن التدليس يروج بين يدي ثلاثة وثلاثين رجلاً من أعلام العلم المتمرسين على النظر والتحجيص، وتمييز الغث من السمين فى كل ضروب البحوث البشرية.

ولقد كان لهذا التقرير أثر عالمى عام، فَهَبَ أُلوف من العلماء والفهاء فى جميع ممالك الأرض لبحث هذه الخوارق، وألّفوا لها مئات من الجمعيات. ونشروا مثلها من المجلات، ووضعوا فيها أُلوفاً من الكتب. ولا تزال هذه المؤسسات قائمة إلى اليوم. والاهتمام بها يزداد على نسبة كثرة ما يعمل فيها من التجارب والبحوث. وقد أقيمت لها خمسة مؤتمرات عالمية فى لوندرة، وباريس. وغيرهما. أصدرت تقارير إضافية ترجمت إلى اللغات الحية».

ثم بعد أن ذكر شهادة كثير من العلماء على صحة وجود عالم وراء هذا العالم.

قال:

«يرى قراؤنا بما قدمناه أن العلماء المنصرفين لدراسة الكون والكونيات. قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة لم تكن تخطر لهم ببال، أن حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم.

وأن كل ما حصلوه منه لا يبدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع تحت حسهم من الموجودات.

أماكنه تلك الموجودات، وحقيقة النواميس التي تدبرها، فلا يزال أمرها مجهولاً، وقد تجلّى لهم أن من حماقة وضع حد للممكنات، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات؛ ثم يرى قراؤنا أيضاً أن طائفة من أمثال هؤلاء العلماء قد وُفِّقوا منذ تسعين سنة عقب ظهور حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس، إلى التنقيب عن حقيقة ذلك العالم. جارين على أسلوبهم العلمى من المشاهدة والتجربة، فوقفوا على أمور لم يكن يدور فى خلد أحد أن أقطاب العلم المادى يعودون، فيثبتون وجودها، وقد سبق لهم نفيها، والتشنيع على القائلين بها من الشئون الروحانية.

ولسنا نريد أن نثبت إمكان الوحي بالاستناد إلى اكتشافات هؤلاء العلماء فى عالم ما وراء الطبيعة، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التى طبعت عليها الحيوانات. ومن حوادث العبقريات، ولكننا نستأنس بها فى بحثنا هذا، استِدلالاً على أن الإنسانية قد اجتازت دون الافتتان بالماديات، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تنفق فيها فتوحات الروح من طريق النبوة. وفتوحات العقل من طريق العلم، فتستقيم على الجادة التى توصلها إلى كمالها المرجو لها خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور، والشكوك المحيرة للعقول، أهد.

إلى هنا كانت مرحلة العلم بالناحية الروحية إلى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين. حتى إذا استثارت هذه المباحث عقل «وليم مكدوجل». ورأى أن ندرة تلك الظواهر التى أشرنا إليها سابقاً والتى اعتمد عليها العلماء السابقون فى تقريرهم. وهى الظواهر التى تعتمد على الوساطة الروحية. وهى نادرة الوجود بين الأفراد، مما يجعل من المستحيل لتلك التجارب أن تتكرر بالانتظام العلمى المطلوب فى إثبات الظواهر الكونية، والقوانين الطبيعية.

فطلب «مكدوجل» من صديقه الدكتور «راين» وكان استاذا للنبات وعضوا فى جمعية المباحث الروحية التى سبقت الإشارة إليها، أن ينتظم فى بحث علمى تجريبى يخضع لكل الاشتراطات العلمية من القابلية للتكرار، والتحكم العلمى الدقيق. وأن يقوم «مكدوجل» بإنشاء معامل تخصص لهذا النوع من البحث فقط، وفعلاً أنشئت معامل الباراسيكولوجى «ماوراء علم النفس بجامعة ديوك» بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، ودخل فيها «راين». وصحبه زوجته. وكانت هى الأخرى أستاذة لعلم النبات، وبدأوا فى أوائل العقد الثالث يوالون أبحاثهم التجريبية فى معامل تجريبية أدخلت إليها. وفيها جميع أساليب الضبط، والتحكم العلمى الدقيق لدرجة أن القيود العلمية التجريبية التى أدخلت على بعض هذه التجارب كانت أكثر من أى قيود فرضت على أى تجربة علمية سابقة؟.

وقد كان من نتيجة هذه الأبحاث التجريبية الوصول إلى النتائج الآتية:

- ١- درس راين ومعاونوه الظواهر الروحية الخارقة، وبدأ بظاهرة انتقال الفكر «الليثى» وأثبتوا وجودها علمياً.
 - ٢- درسوا ظاهرة الاستشفاف، أو الجلاء البصرى. وهى الإحساس بالحوادث التى تحدث على مسافات بعيدة، وأثبتوا وجودها.
 - ٣- أثبتوا، أن انتقال الفكر، والجلاء البصرى مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم: «الإدراك خارج الحواس».
 - ٤- أثبتوا، أن ظاهرة الإدراك خارج الحواس لا تخضع للعلاقة المكانية، والزمانية التى تخضع لها جميع الظواهر المادية. وظواهر الطاقة سواء أكانت كهربائية أو حرارية أو ضوئية أو غيرها، بمعنى طاقة الجاذبية، أو طاقة الضوء تخضع لقانون التربيع العكسى أى أن شدة الجاذبية أو شدة الإضاءة، تتناقص بنسبة تتناسب مع مربع البعد عن مصدر الضوء، أى أن قوة إضاءة الشمعة إذا أبعدت عن الرأى الذى يراها على بعد متر إذا أبعدت إلى مترين، أى ضعف المسافة نزلت قوة الإضاءة إلى الربع. أى عكس مربع ٢ وهو ٤ فتصير $\frac{1}{4}$.
- هذا من ناحية العلاقة المكانية التى تخضع لها كل أنواع الطاقة.

كذلك العلاقة الزمانية التي يعبر عنها في العلوم الطبيعية بقانون (السببية) أو العلة والمعلول، أى أن السبب يسبق النتيجة دائماً، ولكن هذا القانون انكسر في تجارب الإدراك خارج الحواس، بمعنى أن يحدث تنبؤ، فيحدث الإدراك العقلى للحادثة «هى نتيجة» قبل أن تحدث الحادثة فى الكون وهى المؤثر أو السبب.

٥- أثبت هؤلاء الباحثون أن العقل الذى يتأثر بالقانون العام المعروف فى علم النفس. وهو قانون المؤثر والاستجابة له، أو الرد عليه، كذلك العقل يستطيع أن يحس، أو يتأثر بالمادة عن طريق الإدراك الخارج عن الحواس، وكذلك فيوثر فى المادة بالطاقة، التى سموها الطاقة النفسية المحركة، أى أن العقل يوثر فى المادة دون اتصال مادي مباشر.

٦- فإذا كان هناك إدراك خارج عن الحواس، وطاقة نفسية محركة، فهذا دليل على أن للشخصية الإنسانية شقاً لا يخضع للقوانين الطبيعية المعروفة فى علم الفيزياء، والكيمياء، أى أنه شق روحى.

ومن شاء الاستزادة من هذه الأبحاث فليرجع إلى كتاب «العقل وسطوته»، تأليف ج.ب. راين وترجمة الدكتور محمد الحلوجى. ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحية. كما أن به أن هذه البحوث التجريبية قد عرضت على مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة فى الرياضيات الاحصائية وفى علم النفس، وأخذت إقرارهم جميعاً عليها، وبذلك فقد أصبحت الآن فى موقف علمى فوق النقد، أو الجدل.

□ حدود الروح :

والروح حادثة، وليست بقديمة بإجماع المسلمين، ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم، وتتصل به، وتحل فيه وهو جنين!

فمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال :

حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: [إن أحدكم يُجمَع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك. ثم يكون فى ذلك مُضغَةً مثل ذلك. ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه. وأجله. وعمله. وشقى، أو سعيد، فوالذى لا

إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها] (٥).

□ الروح والنفس :

والروح والنفس معناهما واحد، يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٦).

ويقول سبحانه :

﴿ وَتَوَرَّىٰ إِذِ الظُّلُمَاتِ فِي غُمَّرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ (٧).

فالأنفس في الآيتين المقصود بها الأرواح .

وقد ذكر القرآن النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة وليست هذه بأقسام للنفس، وإنما هي صفات :

فالنفس في حالة تسلط الغرائز، وسيطرة الاستعدادات الفطرية عليها تكون أمارة بالسوء :

﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَجِمَ رَبِّي ﴾ (٨).

فإذا تعلمت وتهذبت بالدين، والتعاليم المثالية، ووجد الضمير. وهو الشعور النفسى الذى يقف من المرء موقف الرقيب يدعو إلى الخير، وينهى عن الشر، ويحاسب بعد أداء العمل مستريحاً للاحسان، ومستنكراً للإساءة .

فإذا وصلت النفس إلى هذا الطور من اليقظة والمراقبة والمحاسبة واستراحت للخير، وضافت بالشر، كانت في هذا الطور نفساً لوامة !

(٥) رواه مسلم .

(٦) سورة الزمر الآية : ٤٢ .

(٧) سورة الأثنام الآية : ٩٣ .

(٨) سورة يوسف الآية : ٥٣ .

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (١).

فإذا واصل الإنسان جهاد نفسه، فتخلص من الهوى، وكبت شهواته، وارتفع عن النقائص، وسمت نفسه إلى الحق، والخير، والجمال والكمال — بلغ منزلة الرشد الذي يريد الله أن يصل إليه الإنسان في هذه الحياة، ليكون أهلاً لجواره في الدار الآخرة.

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ أَلَا يَعْنَنَّ زَيْنَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١).

وحين يرتفع الإنسان إلى هذا المستوى الرفيع تكون نفسه قد اطمأنت بالحق والخير؛

﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجَى إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١).

وما لم يصل الإنسان إلى هذا المستوى يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن تداركها بعد.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١٢).

□ الروح بعد مفارقتها للجسد :

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت، وتبقى هي مدركة تسع من يزورها، وتعرفه، وترد عليه السلام، وتمس لذة النعيم، وألم الجحيم.

قال ابن تيمية :

« وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بجال أهله وأصحابه في الدنيا، وأن

(٩) سورة القيامة الآية : ١ - ٢ .

(١٠) سورة الحجرات الآية : ٧ .

(١١) سورة الفجر الآية : ٢٧ - ٣٠ .

(١٢) سورة الشمس من الآية : ٧ - ١٠ .

ذلك يعرض عليه ، وأنه يرى ويدرى ما يُفَعَلُ عنده ، ويسر بما كان حسناً ، ويتألم بما كان قبيحاً ؟

وروى أن عائشة رضی الله عنها : بعد أن دفن عمر رضی الله عنه ، كانت تستتر وتقول : « كان أبى وزوجى ، فأما عمر فاجتنبى » .. تعنى أنه يراها .
« وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال أهلهم ، فيحرفهم أحوالهم . وأنه وُلد لفلان ولد وتزوجت فلانة » أهـ .

□ السؤال فى القبر!

اتفق أهل السنة والجماعة علي أن كل إنسان يسأل بعد موته قُبْرَ أمْ لَمْ يَقْبَرَ فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ، ونسف فى الهواء ، أو غرق فى البحر لسئل عن أعماله ، وجوزى بالخير خيراً ، وبالشر شراً . وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً . قال ابن القيم :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل رضی الله عنه ، وصحيح أبى حاتم : أن النبى ﷺ قال :

[إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم ، حين يولون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجله ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من قبلى رجله ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلى مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس ،

قد مُثِّلَ له الشمس، وقد أخذت للغروب. فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه، فيقول: دَعُونِي أَصَلِّي، فيقولان: إنك ستصلي، أخبرنا عما نسألك عنه؟ أرايتك (١٣) هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمد ﷺ — أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله فيقال له: على ذلك حبيت، وعلى ذلك متَّ. وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب إلى الجنة. فيقال، له: هذا مقعدك. وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً. وينور له فيه. ويعاد الجسد لما بدىء منه، وتجعل نَسَمَتَهُ (١٤) في النسيم الطيب، وهي طير معلق في شجر الجنة، قال: فذلك قول الله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١٥).

وذكر في الكافر ضدَّ ذلك إلى أن قال: ثم يضيِّقُ عليه في قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكُ التي قال الله تعالى:

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٦).

وقال الحافظ في الفتح:

وذهب ابن حزم، وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عَوْدٍ إلى الجسد، وخالفهم الجمهور، فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد، أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن من ذلك اختصاص، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاءه، لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد، ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه. والحامل للقائلين: بأن السؤال يقع على الروح فقط. أن الميت قد يشاهد في قبره حال

(١٣) أرايتك: أي أخبرنا.

(١٤) نَسَمَتُهُ: أي رُوحه.

(١٥) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

(١٦) سورة طه آية: ١٢٤.

المسألة لا أثر فيه ، من إقعاد ولا غيره ، ولا ضيق في قبره ، ولا سعة ، وكذلك غير المقبور كالمصلوب . وجوابهم ! أن ذلك غير ممتنع في القدرة ، بل له نظير في العادة وهو النائم ، فإنه يجد لذة وألماً ، لا يدركه جليسه ، بل اليقظان قد يدرك ألماً ولذة لما يسمعه ، أو يفكر فيه ، ولا يدرك ذلك جليسه ، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله ، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم ، إبقاءً عليهم ، لئلا يتدافنوا وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت ، إلا من شاء الله ، وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور ، كقوله : [إنه ليسمع خفق نعالهم] وقوله : [تختلف أضلاعه لِضَمَّةِ القبر] . وقوله : [يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق] وقوله : [يضرب بين أذنيه] وقوله : [فيقعدانه] وكل ذلك من صفات الأجساد .

□ مستقر الأرواح !

عقد ابن القيم فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء في مستقر الأرواح ، ثم ذكر القول الراجح فقال :

«الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم التفاوت» .
 فنها : أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهم متفاوتون في منازلهم ، كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء .

ومنها : أرواح في حواصل طير خُضِرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت .

وهى أرواح بعض الشهداء لاجمعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدينٍ عليه أو غيره ، كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ، « أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله مالي إن قُتِلْتُ في سبيل الله ؟ قال : « الجنة » ، فلما ولى . قال : إلا الدينَ سارَّني به جبريل أنفأ » .

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة . كما في الحديث الآخر : [رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة] .

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشَّمْلَةَ التي غَلَّهَا (١٧)، ثم استُشْهِدَ فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: [والذي نفسى بيده إن الشَّمْلَةَ التي غَلَّهَا لَتَشْتَعِلُ عليه ناراً في قبره].

ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس رضى الله عنها «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قُبَّةٍ خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرَةً وعشية» (١٨).

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب، حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض، لم تَقْلُ روحه إلى المَلَأِ الأعلى» فإنها كانت روحاً سُفْلِيَّةً أَرْضِيَّةً، فان الأنفس الأَرْضِيَّةَ لا تَجَامِعُ الأنفُسَ السَّمَاوِيَّةَ، كما لا تُجَامِعُها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها، ومحبتة وذكره والأنس به والتَّقَرُّبُ إليه، بل هي أَرْضِيَّةٌ سُفْلِيَّةٌ، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك.

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عَاكِفَةً على محبة الله وذكره والتَّقَرُّبِ إليه، والأنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ يوم القيامة، والله تعالى يُرَوِّجُ النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد—ويجعل روحه (يعنى المؤمن) مع النَّسَمِ الطَّيِّبِ «يعنى الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه» فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها، وإخوانها، وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

ومنها أرواح تكون في تنور الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

فليس للأرواح سعيدها وشقيتها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض.

(١٧) غَلَّهَا: سرقها من الغنيمة قبل القسمة.

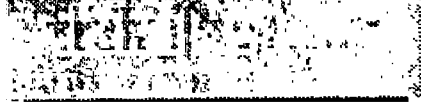
(١٨) رواه أحمد.

وأنت إذا تأملت السُّنن والآثار فى هذا الباب .. وكان لك بها فضل اعتناء
عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضاً ، فإنها
كلها حق يُصَلِّق بعضها بعضاً . لكن الشَّان فى فهمها ومعرفة النفس وأحكامها .
وأن لها شأنًا غير شأن البدن .

وأنا مع كونها فى الجنة فهى فى السماء ، وتتصل بِفِئَاءِ القبر وبالبدن فيه ،
وهى أسرع شىء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسله
ومحبوسة ، وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ، ومرض ، ولذة ، ونعيم ، وألم ،
أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والألم والعذاب
والمرض والحسرة ، وهنالك اللذة والراحة ، والنعيم والاطلاق وما أشبه حالها فى
هذا البدن بحال الطفل فى بطن أمه ! وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من
البطن إلى هذه الدار ، فهذه الأُنفس أربع دور . كل دار أعظم من التى قبلها .
الدار الأولى : فى بطن الأم ، وذلك الحصر والضيق والنَمِّ والظلمات الثلاث .
والدار الثانية : هى الدار التى نشأت فيها وألْفَتْهَا . واكتسبت فيها الخير والشر
وأَسباب السعادة والشقاوة .

والدار الثالثة : دار البرزخ ، وهى أوسع من هذه الدار وأعظم ، بل نسبتها إليها
كنسبة هذه الدار إلى الأولى .
والدار الرابعة : دار القرار ، وهى الجَنَّة والنار . فلا دار بعدها .

والله ينقلها فى هذه الدور طبقاً بعد طبقٍ حتى يبلغها الدار التى لا يصلح
لها غيرها . ولا يليق بها سواها ، وهى التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها .
ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن ، غير شأن الدار الأخرى ، فتبارك
الله فاطرُها ، ومُنشئُها ، ومُؤمِتُها ، ومُخَيِّبُها ، ومُسَعِدُها ، ومُشَقِّبُها ؛ الذى قَاوَتَ بينها
فى درجات سعادتها وشقاوتها . كما قَاوَتَ بينها فى مراتب علومها وأعمالها ؛ وقواها
وأخلاقها — فمن عرفها كما ينبغى ، شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له
الملك كله ، وله الحمد كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله القُوَّةُ
كُلُّهَا والقُدْرُ كُلُّهَا العِزُّ كله والحكمة كلها ، والكمال المطلق من جميع الوجوه ،
وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله ، وأن الذى جاءوا به هو الحق الذى تشهد
به العقول ، وتُقرُّ به الفِطْرُ ، وما خالفه فهو الباطل ، وبالله التوفيق .



❁ العلامات الصغرى.

❁ العلامات الكبرى.

❁ المهدي.

❁ خروج المسيح الدجال.

الساعة وإن خفى علمها على الناس، فقد جعل الله لها أمارات تدل على قربها. يقول الله سبحانه:

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ (١).

وهذه العلامات منها: علامات صفري، وعلامات كبرى.

□ العلامات الصفري:

فأما العلامات الصفري، فنجملها فيما يلي:

بعثة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وختم النبوة والرسالة به، فعن أنس أن النبي ﷺ قال:

[بعثة أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى] (٢).

والمراد بهذا التشبيه أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليه، وتأتي بعده، وهذا علم بقربها، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها؛ فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله.

وأن يصبح الملوك والأمراء والرؤساء من أولاد السراري، لا من أولاد بنات البيوتات العريقة في حسن التربية، وعلو الأخلاق، وكمال المروعة، كما يصبح أهل البداوة، ورعاة الغنم من أصحاب الثروة والترف والقصور العالية والترأس على الناس.

فمعنى أبي هريرة أن النبي ﷺ: [كان يوماً بارزاً للناس، فأتاه جبريل، فقال، يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: ما المسئول عنها بأعلم من المسأل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها.

(١) سورة محمد آية ١٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

وإذا كانت الحفافة العرأة رعاة الشاء رعوس الناس فذاك من أشراتها .
وإذا تطاول رعاة الغنم فى البنيان فذاك من أشراتها] (٣) .

وفى حديث جبريل أنه سأل الرسول عن الساعة ، فقال : [ما المسئول عنها بأعلم من المسائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العرأة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان] (٤) .
وفى حديث الإمام البخارى جملة من هذه العلامات ، عدتها إحدى عشرة علامة ، فعن أبى هريرة أبى أن النبى ﷺ قال :

[لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة (٥) ، وحتى يبعث (٦) دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله (٧) ، وحتى يقبض العلم (٨) ، وتكثر الزلازل (٩) ، ويتقارب الزمان (١٠) ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، وهو القتل (١١) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى

(٣) رواه ابن أبى شيبة .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن عمر .

(٥) هامة الإمام على وفاة معاوية .

(٦) أى يظهر .

(٧) مثل مؤسس القديانية والهائية ، وآخر ما سمعنا به من هؤلاء الدجالين الأحياء الشيع محمد الذى ظهر أخيراً فى المكسيك ، وادعى أنه رسول الله واستطاع أن يضل مجموعة كبيرة من الزوج الأمريكين ، ولا يزال يعمل على تضليل الناس هناك باسم الدين . وأنه رسول رب العالمين .

(٨) المراد بقبض العلم : قبض علماء الدين والدعاة إلى الله : فعلى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ، فستلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

(٩) أى تكثر كثرة زائلة عما يعهد الناس ، وهذه الكثرة تكون مقدمة للزلزلة الكبرى التى تتغير بها معالم الحياة .

(١٠) أى أن المسافات البعيدة تقطع فى زمن قليل بواسطة سفن الفضاء والطائرات والبواخر والقطر ، ونحو ذلك مما اخترعه الناس . وفى هذا إشارة من أمر الغيب الذى أعلم الله به رسوله بما سيحدث فى مستقبل الزمان .

(١١) أى أن الفتن المذهبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تظهر بقوة ، فيتسبب عنها القتل الكثير ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية ، وكما ينتظر أن يحدث فيما إذا قامت حرب ذرية عامة ، وهذه إحدى نبؤات الغيب .

يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب (١٢) لى به ، وحتى يتناول الناس فى البنيان (١٣) ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتنى مكانه (١٤) ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين (لا يَنْفَعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت فى إيمانها خيراً) ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبها بينهما ، فلا يتبايعان ، ولا يطويان ، ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبنٍ لِفَحْتِهِ فلا يطعمه (١٥) ، ولتقومن الساعة وهو يُلبط (١٦) حوضه ، فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته (١٧) إلى فيه ، فلا يطعمها] .

أما العلامات الكبرى ، فنجمها فيما يلي :
 □ طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة :

عند قرب الساعة يحدث تغيير فى نظام الكون ، وتظهر آيات غير مألوفة للبشر ، فتطلع الشمس من المغرب على خلاف مانعهه الآن من طلوعها من المشرق ، وتخرج دابة من الأرض تكلم الناس .

فمن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال :

[إن أول الآيات خروجاً : طلوع شمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتها كانت قبل صاحبها ، فالأخرى على أثرها قريباً] (١٨) .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

(١٢) لا أرب : لاجحة لكثرة المال التى تكون آخر الزمان .

(١٣) وقد تناول الناس فى هذا الزمان حتى بنوا ناطحات السحاب كما هو معروف فى نيويورك وأمريكا وغيرها .

(١٤) لما يرى من تقديم من يستحق التأخير وتأخير من يستحق التقديم وتجاهل أقدار أصحاب المواهب وكثرة التعرض للفتن .

(١٥) اللقحة : ذات اللبن من النوق .

(١٦) يلبط : تُضْلِخُ .

(١٧) أكلته : المفضة من الطعام . والمعنى أن الساعة تأتى بغتة والناس لا يشعرون .

(١٨) رواه مسلم وأبو داود .

[لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً] (١٩).

ويقول الله سبحانه :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢٠).

ففي هذه الآية إخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر الله ، كمقدمة من مقدمات الساعة ، وحينما لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً .

ولا ينبغي أن يبحث عما وراء ذلك من الغرائب التي قيلت في وصف هذه الدابة من أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم ، وأن لها وجه إنسان ورأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ، وأنه لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وأنها تحمل عصا موسى ونخاتم سليمان ، فذلك لم يصح منه شيء .

قال الإمام الرازي : « واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ، فإن صح الخبر فيه عن رسول الله ﷺ قبل وإلا لم يلتفت إليه » .

إن خروج الدابة غيب من الغيوب ، فيجب علينا الوقوف عندما أخبر به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيها سوى أن دابة ستخرج ، وتكلم الناس ، وذلك من أمارات الساعة .

وقد ذكر في السورة نفسها ، أن موسى عليه السلام ألقى عصاه بامر الله ، فإذا هي تهتز كأنها جان ، وأن سليمان عرف لغة الطير ، وسمع النملة وهي تدعو جاعتها ، لتدخل مساكنها ، مخافة أن يحطمها سليمان هو وجنوده وهم لا يشعرون ، وأن سليمان تبسم ضاحكاً من قولها .

(١٩) رواه البخاري ومسلم وأبو داود : أي لا ينفع الإيمان نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل ، ولا تنفع النبوة من المعاصي نفساً مؤمنة لم تكن كسبت خيراً في إيمانها .

(٢٠) سورة النمل آية : ٨٢ .

وفي السورة أيضاً أن المهدد كلم سليمان بخبر سبأ، وقال:

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣١).

والدابة التي ستخرج من الأرض، وتكلم الناس سيكون كلامها لهم من هذا القبيل.

□ المهدي:

خلاصة القول في الإمام المهدي: أنه سيظهر في آخر الزمان، وأن اسمه محمد ابن عبد الله، أو أحمد بن عبد الله (٢٢)، وأنه من أهل بيت رسول الله ﷺ من ولد فاطمة (٢٣)، وأنه يُشبهُ الرسول ﷺ في الخلق، ولا يشبهه في الخلق (٢٤)، وأنه أجلى الجبهة، أفتى الأنف (٢٥) وأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه يقيم شريعة الإسلام، ويحیی ما اندثر من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأن الإسلام تعلق كلمته في عهده يُلقَى بجزائه إلى الأرض (٢٦). ويمكن له ويكثره الرخاء في أيامه من وفرة العدل، وكثرة ما يعطى من المال، فهو يحنو المال حنواً، لا يُعْده عدداً (٢٧)، وأنه يمكث سبع (٢٨) سنين ويأتي بعده الدجال، ثم ينزل عيسى، فيتعاون عيسى مع المهدي على قتله، ثم يُتَوَقَّى المهدي، ويصلى عليه المسلمون.

(٢١) سورة النمل آية: ٢٣ - ٢٥.

(٢٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٢٣) رواه أبو داود والحاكم.

(٢٤) رواه أبو داود من كلام الإمام علي.

(٢٥) أي منحسر الشعر عن مقدم الرأس، وأن أنفه طويل مع حذب وسطه ودقة أرنبته.

(٢٦) يقرأ مرة ويستقر، رواه أبو داود.

(٢٧) رواه مسلم.

(٢٨) رواه أبو داود.

هذه هي خلاصة الروايات التي تحدثت عن المهدي . ورويت في شأنه ، وهي في جملتها لا تخرج عن كونها أخباراً عن ظهور رجل من المصلحين في آخر الزمان يرفع لواء الحق ، ويعلى كلمة الله . ويمكن للإسلام ، ويكون طليعة للخير العام الذي يأتي بعده ، كما كان يوحنا قبل ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام .

على أثر ذلك يخرج الدجال اليهودي . كمظهر من مظاهر الفتنة الكبرى ، ليقاوم هذه النهضة الإسلامية محاولاً فتنة الناس عن دينهم بما أُعطي من علم وبراعة وقوة فيبطل الله أمره بما يحدثه من آيات أكبر من فتنته ؛ بإنزال عيسى عليه الصلاة والسلام ليكون قوة للحق الذي يمثله المهدي حينئذ ، ويتعاون كل من عيسى والمهدي ومن ورائهما كتائب الإسلام على قتله ، وإحباط أمره .

فإذا قتل الدجال انهزم اليهود الذين يقاتلون معه ، وعددهم سبعون ألفاً (٢٩) ثم يكشف الله أمرهم ، فلا يتوارى منهم يهودى وراء شيء إلا أنطق الله هذا الشيء . فقال .

يا عبد الله المسلم ، هذا يهودى فتعال اقتله . وبهذا يقضى على أكبر فتنة من الفتن التي تحدث في الأرض . ثم يأخذ عيسى في العمل على نحو المسيحية التي ارتكبت كل الحماقات باسمه ، والتمكين لدين الحق دين الإسلام . ثم قال الرسول ﷺ فيكون عيسى في أمتى حكماً عادلاً ، وإماماً مقسطاً . يدق الصليب (٣٠) . ويذبح الخنزير . ويضع الجزية (٣١) . ويترك الصدقة (٣٢) ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترفع الشحناء والتباغض . وتُنزع حَمَهُ كُلُّ ذِي حُمَةٍ (٣٣) حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره ، وتُفَرِّ الوليدة الأسد فلا يضرها (٣٤) ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملاً الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ،

(٢٩) رواه ابن ماجه .

(٣٠) يكسره إعلاناً بإنهاء المسيحية كما انتهت على يديه اليهودية .

(٣١) أى لا يقبل من أحد غير الإسلام .

(٣٢) لا يقبلها لغنى الناس وقتئذ .

(٣٣) ينزع السم من ذوات السموم .

(٣٤) تحاول أن تفضل به ما يهرب منه ويفر .

وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قریش ملكها، وتكون الأرض كفاثور (٣٥) الفضة تنبت نباتها بعهد آدم (٣٦).

وبهذا يتحقق وعد الله من إظهار الإسلام وإعلانه على الدين كله.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفًىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٣٧).

ثم يحدث بعد ذلك النقصان ولا يزال الناس يبتعدون عن الدين شيئاً فشيئاً حتى يرتدون عن دينهم، فتقوم الساعة وهم على ما هم عليه من ردة وليس بعد الكمال إلا الفناء والزوال !!

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا رُبَّهَا عَلَيْهِمْ أَخْتَلَفْتُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ رِجَالًا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٣٨).

□ خروج المسيح الدجال (٥):

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى أن يخرج المسيح الدجال، ويدعى الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات، وبما يظهر على يديه من عجائب، فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا، فلا يصدعون بأضاليه، ثم يتجلى أمره، ويقضى على فتنته، ويقتل بأيدي المسلمين وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام.

وقد حذرت الرسل أمهم من فتنته وغوايته، كما حذر منها خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

(٣٥) إناء الفضة.

(٣٦) تنبت نباتها كما كان على عهد آدم في غايته وحسنه وبركته.

(٣٧) سورة الفتح آية: ٢٨.

(٣٨) سورة يونس آية: ٢٤.

(٥) سمي بهذا الاسم لأنه يمسح الأرض ويقطعها في مدة زمنية، ولأنه لعمري مسح العين.

فمن عمر [أن النبي ﷺ استنصت (٣٦) الناس يوم حجة الوداع، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر الدجال، فأطنب في ذكره، وقال: ما بعث الله من نبي إلا أندر أمته، وإنه يخرج فيكم، فما خفى عليكم من شأنه، فلا يخفى عليكم إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية] (٤٠).

قال الشيخ رشيد رضا:

«ويدل القدر المشترك منها (٤١) على أن النبي ﷺ كشف له، ويمثل له ظهور دجال في آخر الزمان، يظهر للناس خوارق كثيرة، وغرائب يفتتن بها خلق كثير، وأنه من اليهود، وأن المسلمين يقاتلونه، ويقاثلون اليهود في هذه البلاد المقدسة، وينتصرون عليهم، وقد كشف له ذلك جملاً غير مفصل، ولا يوحى به عن الله، كما كشف له غير ذلك من الفتن فذكره، فتناقله الرواة بالمعنى، فأخطأ كثير منهم، وتعمد الذين كانوا يبثون الإسرائيليات الدس في رواياته.

ولا يبعد أن يكون طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون المصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك. والله أعلم.

ويؤيد هذا الذي قاله الشيخ رشيد الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

[لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى: يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله] (٤٢).

وهذا مجاز عن عدم إفادة الإختباء شيئاً.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال:

(٣٩) استنصت: أى طلب سكوتهم.

(٤٠) رواه البخارى ومسلم.

(٤١) أى الأحاديث الواردة فى الدجال.

(٤٢) رواه البخارى ومسلم.

[عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة،
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال] (٤٣).

وهذا الفتح غير الفتح الأول، ففى رواية الترمذى «فتح القسطنطينية مع قيام الساعة» .

□ نزول عيسى عليه السلام :

يستخلص من مجموع الأحاديث أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال، ويكون نزوله هذا علامة من علامات الساعة الكبرى، فيحكم بالقسط، ويقضى بشريعة الإسلام، ويحجى من شأنها ما تركه الناس، ويقتل الدجال، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت، ويصلى عليه، ويدفن، ثم تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعاً، فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الناس، فلا يكون بعد الكمال إلا الفناء والزوال.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

[والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً (٤٤) ،
فيكسر الصليب (٤٥) ويقتل الخنزير، ويضع الجزية (٤٦) ، ويفيض (٤٧)
المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا
وما فيها] . ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه، اقرءوا إن شئتم : «وإن من أهل
الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» (٤٨) .

أى ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، قبل موت
عيسى حين ينزل إلى الأرض، قيل قيام الساعة .

(٤٣) رواه أبو داود .

(٤٤) أى حاكماً بشريعة الإسلام، قائماً بالعدل .

(٤٥) يكسر الصليب إظهاراً لكذب النصارى وافتراءهم عليه فى دعوى أنه قتل وصلب .

(٤٦) يسقطها عن أهل الكتاب، ولا يقبل منهم إلا الإسلام .

(٤٧) أى يكثر الخير بسبب العدل .

(٤٨) رواه البخارى ومسلم .

وعن عروة بن مسعود الثقفي رضى الله عنه قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول :

[قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال فى أمتى ، فىمكث أربعين ، قال : لا أدرى أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً .. ، فىبعث الله عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود ، فىطلبه ، فىهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، فىبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع^(٤١) ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، فىتمثل لهم الشيطان ، فىقول : ألا تستحيون ؟ فىقولون : فما تأمرنا ؟ فىأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ىنفخ فى الصور ، فىبصق الناس ، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل^(٤٢) فتنبت منه أجساد الناس ثم ىنفخ فيه^(٤٣) أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم « وقفوههم إنهم مسئولون » ثم يقال : أخرجوا لبعث النار ، فىقال : من كم ؟ فىقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق] .

(٤١) أحلام السباع : أى أنهم يسرعون إلى الشر والظلم ، فىكونون فى المسارعة كالطير ، وفى الظلم كالسباع المقتترمة .

(٥٠) كأنه الطل : أى المطر الخفيف .

(٥١) ىنفخ فيه : أى الصور ولا يعلم عنه أحد شيئاً إلا أنه قرن ىنفخ فيه ، فتكون الساعة ، وتقوم القيامة ، ثم ىنفخ فيه مرة أخرى فىكون البعث . وما بين النفختين مدة زمنية غير معلومة بالضبط عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى ﷺ قال : « ما بين النفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً قال : آبيت (٥) قالوا : أربعون شهراً قال : آبيت . قالوا : أربعون سنة . قال آبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فىنبتون كما ىنبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا ىبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه ىركبُ الخلق يوم القيامة .

(٥) آبيت : لا أدرى — عجب الذنب : هو آخر عظم سلسلة الظهر لا يدركه البلى ، ومنه ىنبت الجسم فى النشأة الآخرة .

وعن ابن عباس رضی اللہ عنہما أن رسول اللہ ﷺ قال :
[من شرار الناس من تدرکہم الساعة وهم أحياء] (٥٢) .

(٥٢) رواه البخاری، ومسلم .

اليوم الآخر

- ❖ الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة.
- ❖ لم يخلق الإنسان عبثاً.
- ❖ مفهوم اليوم الآخر.
- ❖ اهتمام القرآن به.
- ❖ حكمة الاهتمام به.
- ❖ بداية اليوم الآخر.
- ❖ العلم الطبيعي واليوم الآخر.
- ❖ متى هو؟
- ❖ البعث.
- ❖ أدلة البعث.
- ❖ شبهة منكرى البعث.
- ❖ اختلاف الناس عند البعث.
- ❖ الشفاعة.

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وجزء من أجزاء العقيدة، بل هو
العنصر الهام الذى يلى الإيمان بالله مباشرة.

لأنَّ الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون، والإيمان
باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه هذا الوجود.

وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم
غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية.

ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها، ولا غاية
منها.

وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحى، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش
الأنعام، تسيرها غرائرها الطبيعية، واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط
الروحى المدمر لشخصية الإنسان.

□ لم يخلق الإنسان عبثاً :

والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن الله لم يخلق الإنسان من غير هدف
عال، ولا غاية سامية؛ لأن ذلك يتنافى مع كماله الأقدس وحكمته العليا.

فالله لم يخلق الإنسان بيده، وينفخ فيه من روحه، ويفضله على ملائكته
ويسخر له مافى السموات ومافى الأرض، ويجعله سيد هذا الكوكب الأرضى
دون غاية أو غرض.

فان ذلك عبث يتنزه الله عنه.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَلَىٰ اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (١).

إن للإنسان رسالة وهى الخلافة عن الله فى الأرض، وقد كلف بالقيام
بواجبات هذه الخلافة، وهو مسئول عنها أمام الله.

(١) سورة المؤمنون آية: ١١٥، ١١٦.

وَحُسْبَانٌ غَيْرَ هَذَا عَدُولٌ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ .

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَعَلَمَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتُونَ ﴾ (٢) .

□ مفهوم اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا، فيموت كل من فيه من الأحياء، وتبديل الأرض والسموات :

ثم ينشئ الله النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى .

وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر .
فن غلب خيره شره أدخله الله الجنة، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار .

□ اهتمام القرآن بتقرير الإيمان بهذا اليوم:

والقرآن يهتم اهتماماً بالغاً بتقرير الإيمان بهذا اليوم، ويتدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلي :

أولاً: بربطه بالإيمان بالله .

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِعِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) .

ثانياً: يكثر القرآن من ذكره له، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال .

(٢) سورة القيامة الآيات : ٣٦ - ٤٠ .

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٧٧ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٦٢ .

ثالثاً: أن المتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم .

فهو يوم البعث :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

ويسمى يوم القيامة :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (٦).

ويسمى الساعة :

﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٧).

﴿ إِن زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٨).

ويسمى الآخرة :

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٩).

ويسمى يوم الدين :

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١٠).

ويسمى يوم الحساب :

﴿ إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (١١).

ويسمى يوم الفتح :

(٥) سورة الروم الآية : ٥٦ .

(٦) سورة الزمر الآية : ٦٠ .

(٧) سورة القمر الآية : ١ .

(٨) سورة الحج الآية : ١ .

(٩) سورة الأعلى الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(١٠) سورة الفاتحة الآية : ٣ .

(١١) سورة غافر الآية : ٢٧ .

﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (١٢) .
ويسمى يوم التلاق :

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَدْرَبُونَ ﴾ (١٣) .
ويسمى يوم الجمع والتغابن :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ (١٤) .
ويسمى يوم الخلود :

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ (١٥) .
ويسمى يوم الخروج :

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ (١٦) .
ويسمى يوم الحسرة :

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧) .
ويسمى يوم التناد :

﴿ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (١٨) .
ويسمى الآرفة :

﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (١٩) .

(١٢) سورة السجدة الآية : ٢٩ .

(١٣) سورة غافر الآية : ١٥ .

(١٤) التغابن ! يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار، ويقال يوم الذهول الذى يحصل بين الناس من شدة الهول . سورة التغابن الآية : ٩ .

(١٥) سورة ق الآية : ٣٤ .

(١٦) سورة ق الآية ٤٢ .

(١٧) سورة مريم : ٣٩ .

(١٨) التناد : يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار . سورة غافر الآية ٣٢ .

(١٩) الآرفة : القرية يوم القيامة . سورة النجم ٥٧ ، ٥٨ .

ويسمى الطامة :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ (٢٠).

ويسمى الصاخة :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَاةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَنْجِبِيهِ وَبَنِيهِ

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢١).

ويسمى الحاقة :

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَزْرَبُنَا مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٢٢).

ويسمى الغاشية :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (٢٣).

ويسمى الواقعة :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ (٢٤).

□ حكمة الاهتمام به :

وإنما إهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب :

أولاً : أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار.

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٢٥).

ثانياً : أن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد .

(٢٠) الطامة . الداهية ، لأنها تطم على كل شيء أى تملوه وتغطيه ، أى أنها تملو على سائر الدواهي .

سورة التازعات الآيات ٣٤ ، ٣٥ .

(٢١) الصاخة : تصخ : أى تصم الأذان من شدتها سورة عبس الآيات : ٣٣ - ٣٦ .

(٢٢) الحاقة : سمي اليوم بذلك لأن فيه تظهر حقائق الأمور ، وهى مأخوذة من حق الشيء إذا ثبت

ووجب ، لأن حصولها ، واجب سورة الحاقة الآيات ١ - ٣ .

(٢٣) الغاشية : الداهية التى يغشى هولها الناس سورة الغاشية الآية ١ .

(٢٤) الواقعة : لأنها ستقع قطعاً لا محالة سورة الواقعة الآيات ١ - ٣ .

(٢٥) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

فالنصارى: مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادى المخلص الذى يفدى الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا.

وهذا يطابق ما يقوله الهنود فى كرشنه، وبوذا، سواء بسواء.
وعقيدة اليهود فى الله وفى اليوم الآخر لا تقل فى فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى، والهنود

ثالثاً: أن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدياً أعلى، وهذه الغاية هى فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلّى بالفضائل، والتخلّى عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقول، والأموال. أى تحقيق معنى الخلافة.

ولا بد من تقوية الوازع النفسى الذى يرغّب فى الخير، ويصد عن الشر، ولا يقوى الوازع إلا بكثرة التذكير والتفنن فى التصوير، وضرب الأمثال المتنوعة حتى تعمق جذوره، ويقوى تأثيره، ويحقق الغاية منه، فيرجع المنكر عن انكاره، ويصحح المخطىء خطأه، ويمدد كل إنسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق، أو تتعثر به الخطأ.

□ بداية اليوم الآخر:

ويؤخذ من مجموع الآيات الكريمة أن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام فى هذا الكون، فتنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتفتت الأرض، ويخرب كل شىء، ويدمر كل ما عرفه الناس فى هذا الوجود.

﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٣٦)

□ العلم الطبيعى واليوم الآخر:

وهذا التخريب العام الشامل ليس بمحال، أو بعيد الحصول، فقد ثبت لدى علماء العلم الطبيعى أن هذا الكون سيأتى يوم ينتهى فيه كل شىء، فكما أنه تطور من الزمن القديم إلى ما انتهى إليه فى وضعه القائم، فإنه سيتطور تطوراً حتمياً إلى الفناء والزوال.

(٢٦) سورة إبراهيم الآية: ٤٨.

فليس فيما قرره القرآن الكريم عن نهاية هذا العالم بما يتنافى مع أحدث نظريات العلم الطبيعي .

ومن أدل الدلائل على أن هذا من عند الله، أنه لم يسبق أن تحدث أحد عن فناء هذا الكون بهذه الصورة، كما لم تتحدث الأديان السابقة . ولا يمكن أن يكون من تفكير رسول الله ﷺ، فهذه إحدى معجزاته !!

□ متى هو؟

وقيام الساعة أو اليوم الآخر مما أستأثر الله بعلمه . فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لانيباً مرسلأً، ولا ملكاً مقرباً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ (٢٧) .

ولقد كان الناس يسألون عنها رسول الله ﷺ، وَيُلْحِقُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ . فأمره الله أن يرُدَّ علمها إليه وحده

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ (٢٨) .

وسجل هذا السؤال والإجابة عليه فقال :

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا إِلَّا هُوَ

ثَقُلْتُ (٣٠) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْبَغْيَةُ يُسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ (٣١) عَنْهَا قُلْ

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢) .

عن ابن عمر، رضى الله عنها، أن النبي ﷺ قال :

[مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله . إن الله عنده علم الساعة،

(٢٧) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

(٢٨) سورة فصلت الآية : ٤٧ .

(٢٩) لا يجيبها لوقتها : أى يظهر أمرها .

(٣٠) ثقلت : أى صعب علمها ، فلا يستطيع أهل السموات والأرض الوصول إليه .

(٣١) حفيٌّ عنها : أى عالم بها .

(٣٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٧ .

وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا،
وما تدرى نفس بأى أرض تموت].

قال الألوسى فى تفسيره: وإنما أخفى الله سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة
التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء
الأجل الخاص للإنسان كذلك.

ولو قيل: بأن الحكمة التكوينية تقتضى ذلك أيضاً لم يبعد.
وظاهر الآيات أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها.. نعم عليه الصلاة
والسلام قربها على الإجمال، وأخبر ﷺ به، فقد أخرج الترمذى، وصححه عن
أنس مرفوعاً: [بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى].

وفى الصحيحين عن عمر رضى الله عنها مرفوعاً أيضاً:
[وإنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى غروب
الشمس].

أما نهاية هذه الحياة فلم يأت فيها حديث صحيح يمكن التعويل عليه.
قال ابن حزم: وأما نحن يعنى المسلمين، فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا،
ومن ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل... فقد قال ما لم يأت قط
عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه ﷺ خلافه، بل نقطع على أن
للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى. قال الله سبحانه:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣٣).

وقال ﷺ:

[ما أنتم فى الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، أو
الشعرة السوداء فى الثور الأبيض].

وهذه نسبة من تدبرها، وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من

معمور الأرض . علم أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

[بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وَضُمَ أَصْبَعِيهِ السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَى] .

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى لا أحد سواه ، فصح أنه ﷺ إنما أراد شدة القرب لافصل الوسطى عن السبابة ، إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الأصبعين ونسب من طول الأصبع ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة . وهذا باطل ، وأيضاً فكان تكون نسبته ﷺ إيانا إلى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذباً .. ومعاذ الله من ذلك ، فصح أنه ﷺ إنما أراد شدة القرب ، وله ﷺ منذ بعث أربعمئة عام ونيف وألف والله تعالى أعلم بما بقى من عمر الدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لانسبة له عندما سلف لقلته ، وتفاهته بالإضافة إلى ماضى ، فهو الذى قال ﷺ من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقة في ذراع الحمار .

□ البعث :

ويبدأ اليوم الآخر بالبعث : وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً ، كما كان في الدنيا ، وهذه إعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى ، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى .

﴿ نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٤) .

□ أدلة البعث :

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث . مستدلاً بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبيناً أن الله قادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء فلا تعجزه إعادة الأجسام لنفوذ قدرته ، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا

(٣٤) سورة الواقعة الآيات : ٦٠ - ٦٢ .

الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ .

والإنسان وتطوره فى الخلق، وتحوله من حال إلى حال، والأرض وما تخرجه من نبات، مظهر للعلم والقدرة.

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ ﴿٣٨﴾ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴿٣٩﴾ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَأَرْيَبَ فِيهَا وَآتَىٰ اللَّهُ يَتَبَعْتُ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٤٠﴾ .

وإذا كان الله لم يعى بخلق السموات والأرض، ولا يزال يخلق، ويرزق ويحيى، ويميت، فهل يستبعد بعد هذا المشاهد المنظور — أن يعيد الخلق مرة أخرى! .

﴿ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤١﴾ .

(٣٥) سورة يس الآيتان: ٧٨، ٧٩ .

(٣٦) تراب: العناصر التى يتركب منها جسم الإنسان هى نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض . وتحول هذه العناصر من تربة الأرض إلى جسم الإنسان بواسطة الطعام الذى يتناوله مما خرج من الأرض .

(٣٧) العلقه: هى الدم المتجمد الغليظ .

(٣٨) المضغة: هى قطعة لحم بقدر ما يعضغ .

(٣٩) مخلقة وغير مخلقة: أى منتظمة الشكل وغير منتظمة .

(٤٠) سورة الحج الآيه: رقم ٥ .

(٤١) أفعيننا: أى عجزنا . سورة ق الآيه: ١٥ .

إن إنكار البعث وإعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة فى الأُنفس والآفاق لا معنى له .

□ شبهة منكرى البعث :

لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة ، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة ، ومستبعدين ذلك ، ومستعظمين أمره ، لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقتها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها فى بعض ، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب ، ثم يتحول التراب إلى نبات فتغذى إنسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت .

هكذا الإنسان يتحول كغيره ، وهكذا تتداخل الأجسام بعضها فى بعض ، فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل ؟ (٤٢) .

وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تتردد فى صدر الكثير ، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۚ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا أَأَنْتَوَا بِنَاءِ بَنِي آدَمَ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) .

فهؤلاء الذين استنكروا البعث ، ردَّ الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له ؟ لأنهم يجهلون عظمة الله ، وقدرته ، وعلمه وحكمته ، وأنهم لا يبصرون فى أنفسهم فهم أنفسهم أدل الدلائل ، وأقوى الحجج على نفى ما ينكرونه من البعث ، فالله أحياهم أولاً وأماتهم ثانياً ، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأى استبعاد فى هذا ؟ !

(٤٢) يجب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن للإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية ، والأجزاء الأصلية

تبقى كما هى . والعرضية هى التى تتحول ؟

(٤٣) سورة الجاثية الآيات : ٢٤ - ٢٦ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٤).

□ اختلاف الناس عند البعث :

والناس يختلفون عند البعث اختلافاً كبيراً حسب أعمالهم، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم، وزكت نفوسهم، يكونون أكمل أجساداً وأرواحاً، والذين خبثت أعمالهم، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجساداً وأرواحاً.

فمن أبي هريرة رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال :
[يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة، وصنف ركبان،
وصنف على وجوههم، قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟
قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم .
أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشكوك] (٤٥) .

وفى الحديث يقول الرسول الكريم ﷺ :
[يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة فى صور الذر تطوهم الناس ؛
لهوائهم على الله عز وجل] .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله يقول : [يبعث كل عبد على ما مات عليه] . أى إن من مات على خير بعث على حال سائرته، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة .

ومع كون البعث بالأجساد والأرواح إلا أن القوى الروحية تكون هى القادرة على التصرف فى الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة فى أقصر مدة، والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار، ويكون مثلهم فى ذلك مثل الملائكة والجن فى قدرتها على التشكل وظهورها فى أجساد تأخذها من مادة الكون، وقد ثبت ذلك ثبوتاً علمياً . كما تقدم فى بحث مسألة الروح .

(٤٤) سورة الروم : الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤٥) حدب . الحدب ما ارتفع من الأرض . رواه الترمذى .

□ الشفاعة :

المقصود بالشفاعة : سؤال الله الخير للناس فى الآخرة ، فهى نوع من أنواع الدعاء المستجاب .

ومنها الشفاعة العظمى ، ولا تكون إلا لسيدنا محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه يسأل الله سبحانه أن يقضى بين الخلق ؛ ليسترىحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له ، فيغبطه الأولون والآخرون ، ويظهر بذلك فضله على العالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وُعدَّ به فى قول الله سبحانه :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٤٦)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال :

[إن الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرقُ نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى ، فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ ، فيشفع ؛ ليقضى بين الخلق ، فيمشى ، حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم] (٤٧) .

وعن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال :
[إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر] (٤٨) .

وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات (٤٩) فهى مشروطة :
بأن تكون بإذن الله :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٥٠)

(٤٦) سورة الإسراء آية : ٧٩ .

(٤٧) رواه أبو داود والحاكم .

(٤٨) رواه أبو داود .

(٤٩) ستأتى شفاعة الرسول ﷺ فى إخراج عصاة المؤمنين من النار .

(٥٠) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

وأن تكون لمن ارتضى الله أن يشفع له :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ (٥١).

ولا يرتضى الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه تنفيذاً للارادة الإلهية عقب دعائه وطلبه من الله، وليس فيها ما يدعو إلى الغرور أو التهاون في ترك ما كلف الله به من إيمان تزكوه النفس، وعمل صالح يصل بالإنسان إلى كماله المنشود.

وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ ﴾ (٥٢).

فأياهم الله من الاعتماد على هؤلاء الشفعاء :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا الْأَصْحَابَ الْيَمِينِ ۗ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ۗ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۗ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ ۗ قَالُوا لَنْ نَكُ مِنْ الْمُضِلِّينَ ۗ وَلَنْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۗ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ ۗ وَكُنَّا نَكُذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۗ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۗ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

وقد اعتاد كثير من الناس الاعتماد على شفاعاة الصلحاء، واستساغوا كل لون من ألوان الانحراف، والخروج عن طاعة الله، ارتكائاً على هذه العقيدة، فقطع الله حاجتهم، وأنزل قوله :

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ ۖ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ ۖ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ۗ

(٥١) سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

(٥٢) سورة يونس الآية : ١٨ .

(٥٣) سورة المدثر آيات : ٣٨ - ٤٨ .

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا ﴿٥٤﴾ .

إن الدين الحق هو إسلام الوجه لله، وإحسان العمل، وإن روح الإسلام
هى وصاية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضى الله عنها:

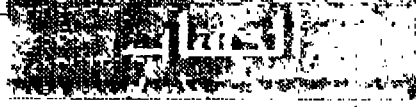
[اَعْمَلِي يَا فَاطِمَةُ فَأَنِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] .

والله يتنزه عن محابة أحد من خلقه وهذه سنته فى الأولين والآخريين :

﴿ أَمْ لَمْ يَنْبَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَا نَزَرْنَا نِزْرًا وَزَرَرًا
أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ
يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (٥٥) .

(٥٤) سورة النساء الآية: ١٢٣ - ١٢٥ .

(٥٥) سورة النجم الآية ٣٦ - ٤١ .



❁ الحساب هو مقتضى العدل الإلهي.

❁ كيفية الحساب.

❁ العلم وتسجيل الأعمال.

❁ دقة الحساب.

❁ الله هو الذى يتولى الحساب.

❁ رحمة المؤمن فى الحساب.

❁ الحوض.

❁ الصراط.

□ الحساب هو مقتضى العدل الإلهي :

إن الله سبحانه متصف بصفات الكمال، ومن صفاته الكمالية، العدل، والحكمة، فهو عدل لا يظلم أحداً من خلقه، وحكيم لا يضيع الشيء في غير موضعه .

ومن عدله وحكمته ألا يسوّى بين البر والفاجر، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المحسن والمسيء؛ فإن التسوية بينها منتهى الظلم والسفه .

والله سبحانه قد أرسل رسوله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، فاهتدى فريق إلى الله وانحرف فريق عن هدايته، فلم تكن له العقيدة الحقّة، ولا العبادة الصحيحة، ولا العمل الصالح .

والذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهاداً شاقاً، وتضحيات مريرة، ومغالبة للهوى، ومحاربة للباطل، ومكافحة للشور والآثام. وطال جهادهم، ودام كفاحهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم .

فهل يستوى هؤلاء الأبرار مع التافهين الفارغين الفسقة، الذين استحبوا العمى على الهدى، وآثروا الغي على الرشاد، وتعجلوا حظوظهم الدنيئة، وشهواتهم الخسيسة، وظلوا سادرين في غيهم لا يصدّهم عنه صاد، ولا يأخذ بجزاتهم أحد .

لقد قضى كل من الفريقين حياته، هذا يجاهد في سبيل الله ليعلى كلمته، ويرفع راية الحق، وليطهر الأرض من الشر والفساد؛ وذلك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه الدنيا، سائراً في ركب الشيطان، مؤتمراً بأمر نفسه الأمارة بالسوء، فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعاً واحداً، إن ذلك لا يجوز في العقل السليم، بله الله أعذلك العادلين، وأحكم الحاكمين .

إن الحكم بالتسوية بين الفريقين حكم جائر:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّاهُمْ وَمِمَّاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾

إن التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحين الذين يحسبون الحياة هواً ولعباً .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ جَعَلُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَعْمَلًا الصَّالِحِينَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢) .

إن الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ، ولما يتذكرونها .

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۗ ۝ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

إنه لا بد من يوم تتكشف فيه الحقائق ، وتظهر فيه مكنونات الضمائر .

﴿ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ (٤) .

وكان المشركون يمارون في الساعة أشد المراء ، ويكذبون بها كأعظم ما يكون التكذيب ، ويحلفون بالإيمان المغلظة أن ذلك لن يكون ، فذكر الله تكذيبهم ، ورد عليهم ، بأن ذلك مقتضى حكمته ؛ حتى يتميز الحق من الباطل ويتبين الصادق من الكاذب .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَّ عَلَيْنَا حَقًّا

(١) سورة الجاثية الآية : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة ص الآية ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) سورة غافر الآية ٥٧ - ٥٩ .

(٤) سورة النجم الآية : ٣١ .

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٥﴾.

□ كيفية الحساب :

بعد أن يرد الله الحياة إلى الناس من جديد يحشرهم إليه ، ويجمعهم لديه
ليحاسب كل فرد منهم على ما عمل من خير أو شر ، فتشهد الأرض بما حدث
عليها .

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (٦) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٧) وَقَالَ الْإِنْسَانُ
مَا هَذَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * يَا نَبِيَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ
يَصْدُرُ (٨) النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٩).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : [قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾

فقال : أتدرون ما أخبارها؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن
أخبارهم أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها : أن تقول :
عمل كذا ، وكذا ، يوم كذا وكذا . قال : فهذه أخبارها] (١٠) .

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة ، والأيدي ، والأرجل ، والجلود
وبهذا تتم حجة الله على العالم .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفُّهُمْ

(٥) سورة النحل الآية : ٣٨ ، ٣٩ .

(٦) الزلزلة : هي الاضطراب الشديد .

(٧) أثقالها : الجثث المدفونة فيها .

(٨) يصدر الناس أشتاتاً : يبعثون أفراداً متفرقين من الهول ليروا أعمالهم .

(٩) مثقال : قدر .

(١٠) رواه أحمد والبخارى والترمذى وصححه .

اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢﴾ .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرًا إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا أَنبَأْتُمْ بِنَبَأِهِمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ .

وعن ابن عباس رضى الله عنها قال :

[قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً (١٤)] .

﴿ أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

[ألا إن أول الخلاق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه سيجاء برجال

(١١) سورة النور الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ .

(١٢) سورة فصلت الآية : ١٩ ، ٢٣ .

(١٣) سورة المجادلة الآية : ٦ ، ٧ .

(١٤) أى أن حشر الناس إلى الله يوم القيامة يكون وهم حفاة عراة غير مختونين كما كان خلقهم من بطون أمهاتهم .

من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح:

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَأِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٥).

قال: فيقال لى: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: سحقاً سحقاً! (١٦).

وعن أبي بزة الاسلمى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [لا تزول قدما عبد حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه] (١٧).

□ كيفية احصاء الأعمال وعرضها:

واحصاء الأعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة الموكلين بها كما تقدم فى بحث الملائكة.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَثِيرِينَ * يِعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨).

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٩).

فإذا كان يوم الحساب جىء بالكتب التى دونت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها.

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عِنْقِهِ. وَنُخْرِجُهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَنْشُورًا * أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٢٠).

(١٥) العبد الصالح هو سيدنا عيسى عليه السلام المائدة آية: ١١٨.

(١٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

(١٧) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(١٨) سورة الإنفطار الآيات: ١٠ - ١٢.

(١٩) سورة ق الآية: ١٨.

(٢٠) سورة الإسراء الآية: ١٣، ١٤.

﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنِيلُنَا مَا لِهَذَا
الْكِتَابِ لَا يَغْدِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٢١).

وهذه الكتب التي توزع على أصحابها، منهم من يأخذ كتابه بيمينه ويكون
بشرى من البشريات السارة، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.
ويكون ذلك علامة على سوء الحساب.

﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ
أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصَلِّي سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ
مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنْ رِيَهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ (٢٢).

□ العلم وتسجيل الأعمال :

وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثبتت ثبوتاً علمياً فإما من صوت من الأصوات
ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهى مسجلة فى سجل
الكون، ومدونة فى كتاب الوجود، فليس منها شىء ضائع، ولا يمكن لشىء منها
أن يزول، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٣).

(٢١) سورة الكهف الآية : ٤٩ .

(٢٢) الانشقاق الآية ٦ ، ١٥ ، كادح — ساع إلى لقاء ربك بالموت فلاقى جزاء كدحك ، أى عملك
— ثبوراً : هلاكاً ليستريح — يصلئ سعيماً : يدخل ناراً مستعرة مسروراً : أى غارقاً فى سروره
بالشهوات حتى نسى ما كلفه به الله — لن يحور ، لن يرجع إلى الحساب يوم القيامة .

(٢٣) سورة الانعام الآية : ٥٩ .

□ دقة الحساب :

وتبلغ الدقة فى الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور، حتى يأخذ كل واحد جزء ما عمل من خير أو شر. سواء أكان ذلك عملاً مارسه بالفعل، أو عملاً نواه، وأصر عليه، فتقام لذلك موازين القسط، حتى يتحقق العدل الإلهى على أكمل صورة.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢٤).

ثم تكون عاقبة كل حسب رجحان الميزان بالعمل الصالح، أو نقصانه.

﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٢٥).

□ الله هو الذى يتولى الحساب :

والله سبحانه هو الذى يحاسب الناس جميعاً بنفسه بدون واسطة.

عن عدى بن حاتم أن النبى ﷺ قال :

[ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة] (٢٦).

وقد حدث الإمام على كرم الله وجهه بهذا الحديث، فقال له أحد الرجال : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم فى وقت واحد؟ فقال : كما يرزقهم فى آن واحد يسألهم فى آن واحد.

(٢٤) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

(٢٥) سورة المؤمنین الآيتان : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

□ رحمة الله بالمومن عند الحساب :

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه لأن من نوقش الحساب عذب قيل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله يقول فى النجوى (٢٧)؟ قال : سمعته يقول :

[يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه (٢٨) ، فيقول : أعملت كذا وكذا؟ فيقول : نعم ، فيقرره (٢٩) ، ثم يقول : إني سترت عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . ألا لعنة الله على الظالمين] (٣٠) .

عن عائشة أن النبى ﷺ قال :
[ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾

فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ] .

□ الحوض :

إن لكل نبى حوضاً يشرب هو وأمتة منه بعد الموقف ، وقبل دخول الجنة . ولنبينا حوض كذلك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من المسك ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال :
[أنا قرظكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لا يظمأ أبداً ،

(٢٧) المراد بها هنا مناجاة الله لعبده المؤمن فى الآخرة .

(٢٨) ستره .

(٢٩) أى يقرره بثنويه .

(٣٠) رواه البخارى ومسلم .

لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يَجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي (٣١) فيقال: لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُخِّقًا سُخِّقًا لِمَنْ غَيْرَ بَعْدِي (٣٢).

□ الصراط :

روا مسلم والترمذى : أن عائشة تلت هذه الآية «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» .. الخ قالت : يا رسول الله أين يكون الناس ؟ قال على الصراط .

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم ، يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ، فأهل الجنة يرون عليه ، وهم متجهون إليها ، وأهل النار يسقطون فيها .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٣٣).

وفى حديث الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال :

[يضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم . وفى جهنم كلاب مثل شوك السَّعْدَانِ غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم .]

(٣١) أى من أمتى .

(٣٢) أى بعدا لمن ارتد عن دينه . والحديث رواه البخارى ومسلم .

(٣٣) سورة مريم آية : ٧١ .

الجنة والنار

✽ النار .

✽ أهوال الجحيم.

✽ نسبة نار الدنيا إلى الآخرة.

✽ أهون الناس عذابا.

✽ المؤمن لا يخلد في النار.

✽ الشفاعة للعصاة.

✽ التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار.

✽ آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار.

✽ الجنة.

✽ أهلها.

✽ نعيمها.

✽ أعلى نعيم الجنة.

✽ الخلود.

إذا كان الله سبحانه يكافئ الأبرار بالنعيم ، فانه يجازى الفجار بالجحيم ، عقاباً لهم على ما اقترفوا من كبائر الإثم والفواحش .

والجحيم هذه هي دار العذاب : وتسمى الهاوية :
والهاوية : هي المكان المنخفض كثيراً الذي لا يرجع من يسقط فيه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ (١) .

وتسمى السعير :

﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (٢) .

وتسمى لظى :

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْيَى * نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (٣)

أى أنها شديدة نزع جلدة الرأس ، وتجذب إليها من أعطى ظهره للحق ، وتولى منصرفاً عن الطاعة ، وجمع المال ، ووضع في وعاء ؛ لشدة حرصه عليه ، وافتنانه بالدنيا .

وتسمى سقر :

﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٤) .

أى أنها لا تبقى على شيء ما يطرح فيها بل تحرقه ، ولا تتركه يخرج منها ، وأنها تُسَوِّدُ الجسم وتشوّهه .

وتسمى الحطمة :

(١) سورة القارعة الآية : ٨ - ١١ .

(٢) سورة الملك الآية : ٥ .

(٣) سورة المعارج الآية : ١٥ - ١٨ .

(٤) سورة المدثر الآية : ٢٦ ، ٣٠ .

﴿ لِيُبَذْنَ فِي الْحَطْمَةِ وَمَا أَدْرَبْتَكَ مَا الْحَطْمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٧) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (٨)

□ أهوال الجحيم :

وقد وصف الله الجحيم وصفا تشييب منه النواصي، وتنخلع منه القلوب، كى يرتدع الغاؤون عن غيهم، فذكر أن وقودها الناس والحجار.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٩).

وأنا لا تشعب مما يلقى فيها، بل تطلب المزيد دائما. حتى لا يبقى فيها مكان خال

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (١٠).

قال مجاهد: ليس هناك قول، وإنما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلأت حتى لم يبق فيها مكان خال.

وأن طعامهم الزقوم: وهى شجرة من أخصب أنواع الشجر المر المنتن الرائحة:

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةٌ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (١١) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ * فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَأَمَّا الْوُتُنُ مِنَهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (١٢)

(٥) الحطمة: كثير التحطم والتكسير لا يلقى فيها.

(٦) الموقدة الملتبها التهاباً شديداً.

(٧) موصلة. أى مغلقة.

(٨) فى عميد مُمدّدة: أى مغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها.

(٩) سورة التحريم الآية: ٦.

(١٠) سورة ق الآية: ٣٠.

(١١) أى حنة للظالمين بإرغامهم على الأكل منها.

(١٢) سورة الصافات الآية: ٦٠ - ٦٧.

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١٣).
وثيابهم من نار!

﴿ هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصِمُوا فِي رِيحِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١٤).

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن النبي ﷺ قال: [إن الجحيم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم، حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يبرق من قدميه. وهو الصهر ثم يعاد كما كان] (١٥).

وجهنم تحيط بالمعدين من كل جانب، فهي فراش وغطاء:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ * وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ (١٦).

﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ﴾ (١٧).

(١٣) سورة الكهف الآية: ٢٩.

(١٤) سورة الحج الآية: ١٩ - ٢٢.

(١٥) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

(١٦) سورة الأعراف الآية: ٤١.

(١٧) سورة الزمر الآية: ١٦.

وأهل جهنم لا يموتون ، فيستريحون ، ولا يموتون الحياة الهنيئة !
﴿ وَيَنْجَبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (١٨)

وأهل النار محجوبون عن الله :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ ﴾ وهذا هو أشد أنواع العذاب .

وفى الآية الكريمة يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيَّا تَنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٩) .

ففى هذه الآية — أن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ، والسبب فى ذلك أن أعصاب الألم هى الطبقة الجلدية ، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية ، فالاحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً ، بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد إلى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً .

فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذى فيه الأعصاب يجده كى يستمر الألم بلا انقطاع ؛ ويذوقوا العذاب الأليم ، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان « وكان الله عزيزاً حكيماً » (٢٠) .

ومن شدة الهول ، وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدى نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ، ولكن لا ينفع فداء ، ولا يقبل رجاء .

﴿ يودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُوِيهِ ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿ كَلَّا ﴾ (٢١)

(١٨) سورة الأعلى الآيات : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(١٩) سورة النساء الآية : ٥٦ .

(٢٠) انظر كتاب الطب والإسلام للدكتور عبد العزيز اسماعيل .

(٢١) سورة المعارج الآية : ١١ — ١٥ .

□ نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: [ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يارسول الله. قال: فإنها فضلت (٢٢) بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها] (٢٣).

□ أهون الناس عذاباً:

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه: أن النبي ﷺ قال: [أهون الناس عذاباً من له نعلان، وشراكان من نار، يغلى منها دماغه كما يغلى الرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً] (٢٤).

□ المؤمن لا يخلد في النار:

جاء في السنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلد في النار. فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تكفر بحد، أو توبة نصوح، أو مصيبة أو مرض، أو شيء من المكفرات، فهو محاسب على عمله، والله يوازن بين أعماله الصالحة وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة، وكذلك إذا تساوت حسناته وسيئاته:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِينَ ﴾ (٢٥).

وإن رجحت سيئاته فإنه يدخل النار، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر، وبعد أن يوفيه الله جزاءه بمقتضى عدله وحكمته. فعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: [يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: «أخرجوا من كان في قلبه مثقال

(٢٢) فضلت: زادت.

(٢٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٢٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٢٥) سورة الأنبياء الآية: ٤٧.

حبة من خردل من إيمان . فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل (٢٦) ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» [(٢٧)] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : [يخرج من النار، من قال : لا إله إلا الله ، وفى قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار، من قال : لا إله إلا الله ، وفى قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار، من قال : لا إله إلا الله ، وفى قلبه وزن ذرة من خير] (٢٨) .

□ الشفاعة للعاصي :

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له، وبعد انتهاء، مدة العذاب فى خروج العاصي من النار، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ ، يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار، فيقبل الله شفاعته فيهم، ويخرجهم منها . وتكون الشفاعة إظهاراً لكرامة الشافع عند الله، وإظهار فضله ، فمن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

[لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها . وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعته لأمتى فى الآخرة] . رواه البخارى ومسلم وزاد مسلم [فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً] .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : [يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين] (٢٩) .

□ التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار :

وبعد أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يدور بينهم حوار

(٢٦) أى أنهم يخرجون بعد ما يغمسون فى نهر الحياة وأجسامهم نضرة فرحين بعودة الحياة .

(٢٧) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٢٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢٩) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه وشموا بهذا الاسم ليدذكروا ما كانوا فيه من عذاب ،

وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحاً وسروراً .

ومتأقشة، فيذكر كل واحد ما كان منه من عمل في الدنيا، وما ناله من جزاء في الآخرة.

ولا يُقال كيف يتم التخاطب بين الفريقين مع البعد بين الجنة والنار، ومع التفاوت الكبير بينهما، فإن ذلك شأن من شؤون الآخرة التي لا اطلاع لنا عليها، ولا علم لنا بها، والله سبحانه سيطور خلق الإنسان ويجعله على صورة أخرى غير الصورة المعهودة، ويعطيه حواس أخرى أقوى من حواسه التي أعطاها إياه في الدنيا وقد استحدثت أخيراً ما يقرب هذا من أمثال أجهزة التلفزيون، فالتناس مع بعد بعضهم عن بعضهم يتمكنون بواسطتها من المشاهدة والسماع.

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَتُتَشَكَّمُوا فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠).

وفى القرآن الكريم إخبار عما يدور بين أهل الجنة والنار من خطاب مع وجود سور فاصل بينهما، فهو من جهة أهل الجنة فيه الرحمة، ومن جهة أهل النار فيه العذاب. فنؤمن بذلك ونكل علم حقيقته إلى علام الغيوب. يقول الله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَاتِقِينَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لِيُبَايَ بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضَوْنَ مَا رَتَبْتُمْ وَعَرَّرْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣١).

(٣٠) سورة الواقعة الآية: ٦١.

(٣١) سورة الحديد الآية: ١٢ - ١٥.

وفى مشهد آخر يعرض القرآن لونا من ألوان الخطاب بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدِ بَدَدْنَا مَا وَعَدَنَا نَارُنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَرَجْنَاكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

ثم بعد ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا أَوْ مَا كَانُوا يَئْتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣).

□ آخر من يدخل الجنة، آخر من يخرج من النار:

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشى مرة ويكبو مرة، وتسفعه (٣٤) النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الله الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله تعالى شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: يارب أدنى من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا بن آدم لعلى إن أعظيتك إياها تسألنى غيرها؟ فيقول: يارب لا أسألك غيرها. ويعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: يارب أدنى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول يا بن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها؟ لعلى إن أعظيتك منها تسألنى غيرها. فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى

(٣٢) سورة الأعراف الآية: ٤٤ - ٤٥.

(٣٣) سورة الأعراف الآية: ٥٠ - ٥١.

(٣٤) تسفعه النار: أى ألمحه لفتاً يغير بشرته.

ملا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين. فيقول: يارب أدنى من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلى يارب لا أسألك غيرها. وربّه يعذره، لأنه رأى ملا صبر له عليه، فيدنيه منها.

فإذا أدنى منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى يارب أدخلنى الجنة، فيقول: يابن آدم ما يُصْرِيْنِي (٣٥) منك، أيرضيك إن أعطيتك قَدْرَ ومثلها معها؟ فيقول: يارب أنتهزىك بى، وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألونى مِمَّ ضحكك؟ فقيل ممّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقيل: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فقال: مِمَّ ضحك ربّ العالمين حين قال: أنتهزىء بى وأنت رب العالمين، فيقول: إنى لأنتهزىء بك، ولكنى على ماأشاء قادر]. أخرجه مسلم.

□ الجنة:

الجنة فى الأصل: البستان من النخل أو الشجر. وهى مأخوذة من جَرَّ إذا ستر، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقات وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض، فتكون كالظلة تستر ما تحتها.

والمقصود بالجنة هنا الدار التى أعدها الله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق وعملهم الصالح:

وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء. فهى: جنة المأوى، وجنة عدن (إقامة وخلود)، ودار الخلود، والفردوس، ودار السلام، ودار المقامة، وجنات النعيم، والمقام الأمين.

وجاء فى القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض. وقد روى أن النبى ﷺ سئل عن مكان النار إذا كانت الجنة عرضها

(٣٥) ما يصرينى منك: أى ما الذى يرضيك ويقطع مسألتك.

السموات والأرض؟ فأجاب ﷺ: [سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار].
□ أهلها:

والجنة لا يدخلها إلا من قام بجلال الأعمال، واتصف بكرائم الصفات.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقَّافٍ التَّورِيَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّيُّونَ الْعَكِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّكِينُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَنَشِرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٦).

□ نعيمها:

وصف الله الجنة بأن نعيمها دائم، وسرورها لا ينفد، وكل ما فيها غير حساب. فأنهارها كثيرة ثمرة: ففيها أنهار من ماء غير آسن (٣٧)، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصْفًى. وهذه الأنهار تجري من تحت القصور، وفيها الفواكه، ولحوم الطيور. وكلما رُزق أهلها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً مماثل بعضه بعضاً في الحسن والجودة.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٨)

(٣٦) سورة التوبة الآية: ١١١ - ١١٢.

(٣٧) آسن: متغير الطعم والرائحة.

(٣٨) سورة البقرة الآية: ٢٥.

وأن الرزق الذى يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم من الولدان ، إذا رأيتهم حسبتهم لفرط جاهلهم لؤلؤاً منثوراً ، وهؤلاء الولدان يحملون صحافاً وأوانى من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ الأعين .

ولباسهم فيها حرير من سندس واستبرق . وحليتهم الذهب . ومساكنهم طيبة . وهى غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار .

وأصحاب الجنة هم أزواجهم فى ظلال على الآرائك يتكئون ، وهؤلاء الزوجات ينشئن الله إنشاء عرباً أتراباً ، كما ينشئ معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون وهن مطهرات من عيوب نساء الدنيا ، فلا حيض ، ولا نفاس ، ولا دمامة خلقي ، ولا سوء خلقي .

وأهل الجنة نزع الله من صدورهم الغل إخواناً على سرر متقابلين ، لا يسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين .

والجنة لا يسمع فيها اللغو ، ولا التأثيم ، وإنما يسمع فيها تقديس الله ، وإجلاله . وسلام الله على المؤمنين ، وسلام بعضهم على بعض .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٣٩) .

وقد جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى ، أن النبى ﷺ قال : [إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّي فى السما إضاءةً ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتقلون ولا يتمخطون . أمشاطهم الذهب ورشحهم (٤٠) المسك ، ومجامرهم (٤١) الألوة (٤٢) أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء] .

(٣٩) سورة الرعد الآية : ٢٤ .

(٤٠) الرشح : العرق .

(٤١) المجامر : مواضع البخور .

(٤٢) الألوة : العود .

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: [ألا مشتمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبداً، فى حبرة (١٣) ونضرة (١٤)، فى دور عالية سليمة بهية]. قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله. قال: قولوا: إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه (١٥).

□ نعم الجنة فوق ما يتصوره العقل:

وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف فى هذا العالم الأرضى، وإن كان أرقى منه نوعاً وشكلاً وطعماً، وحقيقته فوق ما يتصوره البشر.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ قال: [أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اقرأوا إن شئتم:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١٦).

فنعيم الآخرة لا يشبه شىء من نعيم الدنيا.

فهو وإن شابهه فى الاسم فهو مختلف عنه فى الصفة.

قال ابن عباس رضى الله عنها فى تفسير قول الله سبحانه:

﴿ وَأَتَوَاتِبُهُم مِّن مَّاءٍ كَالْعَيْنِ فَاسْتَبَقُوا زَوَاجَهُمْ وَأُتُوا بِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا

﴿ خَالِدُونَ ﴾ (١٧).

لا يشبه شىء مما فى الجنة ما فى الدنيا إلا فى الأسماء.

□ أعلى نعيم الجنة:

(٤٣) الحبرة: النعمة وسعة العيش.

(٤٤) نضرة البهجة والحسن.

(٤٥) رواه ابن ماجه.

(٤٦) سورة السجدة الآية: ١٧. وقرة العين كناية عن السرور.

(٤٧) سورة البقرة الآية: ٢٥.

وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل ، ومناجاته ، والغور برضاه .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (٤٨) .

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَنِكْهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَىٰ
الْأَرَآئِكِ مُتَكِّونَ * لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهُةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ
رَجِيمٍ ﴾ (٤٩) .

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٥٠) .

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٥١) .

وعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف (٥٢) الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم . ثم تلا « للذين أحسنوا الحسنى (٥٣) » وزيادة .»

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : [نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر ، لا تضامون (٥٤)] فى رؤيته . فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .]

(٤٨) سورة القيامة الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤٩) سورة يس الآية : ٥٥ - ٥٨ .

(٥٠) سورة التوبة الآية : ٧٢ .

(٥١) سورة آل عمران الآية : ١٥ .

(٥٢) فيكشف الحجاب عن أهل الجنة .

(٥٣) الحسنى : الجنة . والزيادة : هى الرؤية . والحديث رواه مسلم وغيره .

(٥٤) تضامون : تشكون . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

وأما رؤية الله فى الدنيا . فلم تقع لأحد قط . وقد سأل موسى عليه السلام ربه قال :

﴿ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥) .

وذهب ابن عباس رضى الله عنها — وكثير من أهل العلم إلى أن سيدنا محمداً ﷺ رأى ربه ليلة أُسْرِي به .

قال ابن عباس رضى الله عنها — فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ (٥٦) .

قال : (هى رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ أُسْرِي به) رواه البخارى . وكان الحسن يحلف أن رسول الله ﷺ رأى ربه وأنكرت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ رأى ربه .

فمن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : (يا أمّتاه . هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّتْ (٥٧) شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث : من حَدَّثَكَهُنَّ فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت :

﴿ لَا تَدْرِيكَ أَلْبَصَرُ وَهُوَ يَدْرِيكَ أَلْبَصَرُ ﴾ (٥٨) .

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت .

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (٥٩) .

(٥٥) سورة الأعراف الآية : ١٤٣ .

(٥٦) سورة الإسراء الآية : ٦٠ .

(٥٧) قف : أى قام شعر رأسى وشعر بطنى من الفزع .

(٥٨) سورة الأنعام الآية : ١٠٣ .

(٥٩) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، ثم قرأت :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٦٠).

ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين « (٦١) ».

□ الخلود :

والجنة خالدة لا تنفى، وكذلك النار، وأهل كل منها مخلدون، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم الفناء.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿ (٦٢) .

وسر خلود أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار أن كلا من الفريقين كان مصرا على ما هو عليه، فأهل الجنة كانوا مرادين الإيمان والطاعة مهما طال بهم الحياة، وامتد بهم العمر، وأهل النار كانوا مصرين على الكفر والعصيان، ولو عاشوا ملايين السنين، فكان الجزاء للفريقين على الإرادة والنية وبمقتضى هذه الإرادة والتصميم كان الخلود إذ أن الإيمان والكفر وما يستتبعانه من أعمال قد تمكن من النفس تمكنا لا يزول .

ولقد صور القرآن هذا التمكّن فذكر أن الكفار لورجعوا إلى الدنيا بعد معابنتهم العذاب لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وسوء العمل :

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

(٦٠) سورة المائدة الآية : ٦٨ .

(٦١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٦٢) سورة هود من الآية : ١٠٣ - ١٠٨ .

لَكَذِبُونَ ﴿٦٣﴾ .

والأصل فى كون الجزاء على الإرادة والنية قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : [إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى] .

خاتمة

وبعد.. فإن سلوك الإنسان وتصرفاته فى الحياة مظهر من مظاهر عقيدته .

فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسد واعوج ، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته .

ولقد كانت الدعوة إلى هذا العقيدة أول شىء قام به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ؛ لتكون حجر الزاوية فى بناء الأمة المسلمة . كما كانت أول شىء قام به رسل الله جميعاً ، ذلك أن رسوخ هذه العقيدة فى النفس الإنسانية يسمو بها عن الماديات الوضيعة ، ويوجهها دائماً وجهة الخير والنبيل ، والنزاهة والشرف .

وإذا سيطرت هذه العقيدة ، أثمرت الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة والكرم ، والسماحة ، والطمأنينة ، والإيثار ، والتضحية .

والتمكن لهذه العقيدة هو الذى يهذب الحياة ، ويرقيها ، ويصل بها إلى المدنية الحققة ، ويبلغها ماتشده من الخير والتقدم ، وماتستهدفه من الحق والعدل فينعم الفرد ، وتسعد الجماعة ، وتحيا الحياة الطيبة .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (١) .

وفى ظلال العقيدة تتوافر عناصر الارتقاء المادى والروحى ، ويجد الإنسان من عناية الله وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذى أراده الله له .

﴿ اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِنَّ لِلَّهِ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

(*) ملخص مما كتبه فى كتاب إسلامنا .

(١) سورة النحل آية ٩٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٣) سورة الحج الآية : ٥٤ .

والعقيدة مثلها مثل الشجرة الطيبة التي لا ينقطع ثمرها، فهي تؤتي أكلها كل حين: في صيف أو شتاء، ليل أو نهار، والمؤمن كذلك لا يزال يرفع له عمل صالح في كل وقت وحين. ولهذا كثر في القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح، لأنه ثمرة من ثماره، وأثر من آثاره. وما أصدق قول الله سبحانه .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤).

ولقد كان لعقيدة الإيمان في تربية المؤمنين الأولين الأثر الكبير، فهي التي زكت النفوس، وطهرتها من الحسد والحقد، والكبر والعجب، والفسق والفحش، والظلم والجور، والقسوة والغلظة، والأثرة والأنانية.

وهي التي خلصتهم من درن التربية الفاسدة ووضر البيئة الرديئة، وشر الوراثة الدنيئة.

وهي التي أعلت همهم، فطلبوا معالي الأمور، ووطنوا أنفسهم على إمامة البشر، وقيادة الأمم وتحريرها من الخرافات، واستبداد الملوك، وتطهير الأرض من الكفر والفساد.

وهي التي مكنت لهم من الفتح والظفر، والعلم والعمل، وإقامة الحضارة التي شمع نورها، وعم خيرها مشارق الأرض ومغاربها، في سنين تعد على الأصابع.

قال الدكتور غوستاف لبون في كتابه (تطور الأمم):
 «إن ملكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال:
 أولها: جيل التقليد.
 ثانيها: جيل الخضومة.
 ثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص.

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٢٤ ، ٢٥

إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى
بدءوا فيه بمزاولتها» .

وما أصدق ما قاله النايفة الجعدى :

بلغنا السماء مجذنا وسناؤنا وإنما لندرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى ﷺ : [ما المظهريا أبا ليلى ؟ قال : الجنة . قال : إن شاء
الله !!] .

الفهّرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
□ الإسلام إيمان وعمل	٩
□ مفهوم الإيمان أو العقيدة	٩
□ وحدة العقيدة	١٠
□ لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة؟	١٠
□ منهج الرسل فى غرس هذه العقيدة	١١
□ الانحراف عن منهج الرسل وأثره	١٤
معرفة الله	١٧
□ وسيلة المعرفة	١٩
□ المعرفة عن طريق العقل	١٩
□ التقليد حجاب العقل	٢٠
□ ميادين التفكير	٢١
□ المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات	٢٢
□ اسم الله الأعظم	٢٨
الذات الإلهية	٣١
□ العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لاينفى وجودها	٣٤
□ الطبيعة تؤكد وجود الخالق	٣٤
□ الفطرة دليل وجود الله	٤٠
□ دلالة الواقع والتجارب	٤١
□ التأييد الإلهى	٤١
□ شواهد النقل	٤٢

الصفحة	الموضوع
٤٢	□ لا سند للإلحاد
٤٥	صفات الله
٤٧	□ الصفات السلبية
٥٧	□ الصفات الثبوتية
٦٣	□ صفات الذات الإلهية وصفات الأفعال
٦٤	□ صفات الله أعلام هادية
٦٧	□ حقيقة الإيمان وثمرته
٧٤	□ ثمار الإيمان
٧٩	القدر
٨١	□ الله فاعل مختار
٨٣	□ معنى القدر
٨٣	□ وجوب الإيمان بالقدر
٨٦	□ حرية الإنسان
٨٧	□ تقرير الإسلام حرية الإرادة
٩١	□ مشيئة الرب ومشيئة العبد
٩٢	□ الهداية والإضلال
٩٥	□ الملائكة
٩٧	□ من هم الملائكة ؟
٩٨	□ مِم خلقوا ؟
٩٨	□ البشر أفضل منهم
٩٩	□ طبيعتهم
١٠٠	□ تفاوتهم
١٠١	□ عملهم الروحي
١٠٣	□ عملهم في الطبيعة ومع الإنسان
١١١	□ الإيمان بالملائكة

الصفحة	الموضوع
١١٣	الجن
١١٥	□ من هم
١١٥	□ طريق العلم بهم
١١٥	□ المادة التي خلقوا منها
١١٥	□ طوائف الجن
١١٦	□ الجن مكلفون بالبشر
١١٧	□ استماعهم القرآن من الرسول
١١٨	□ الجن لا علم له بالغيب
١١٩	□ تسخير الجن لسليمان عليه السلام
١٢٠	□ إبليس والشياطين
١٢٣	□ كل إنسان معه شيطان
١٢٤	□ الاعراض عن هداية الله يمكن للشيطان
١٢٥	□ التحذير من عداوة الشيطان
١٣٠	□ لاسطان للشيطان على المؤمنين
١٣٢	□ مقاومة الشيطان
١٣٣	□ حكمة خلق إبليس
١٣٧	الكتب السماوية
١٣٩	□ الكتب المدونة
١٤٢	□ القرآن الكريم آخر الكتب
١٤٤	□ تحريف التوراة
١٤٦	□ تحريف الإنجيل
١٤٧	□ معنى تصديق القرآن للكتب السابقة
١٤٧	□ الطريق إلى الحقيقة
١٤٩	الرسول
١٥١	□ الإيمان بجميع الرسل

١٥٣	□ لكل أمة رسول	١٥٣
١٥٣	□ الرسول بشر	١٥٣
١٥٥	□ الرسول رجل	١٥٥
١٥٥	□ الغرض من بعثة الرسل	١٥٥
١٥٧	□ عصمة الأنبياء	١٥٧
١٦٠	□ ما نسب إلى الرسل	١٦٠
١٧٢	□ أولو العزم من الرسل	١٧٢
١٧٣	□ أفضل الرسل	١٧٣
١٧٣	□ ختم النبوة والرسالة	١٧٣
١٧٤	□ الأعمال الكبرى التي قام بها خاتم الرسل	١٧٤
١٧٥	□ دلائل صدقه	١٧٥
١٧٨	□ التبشير بظهور خاتم الرسل	١٧٨
١٨٠	□ آيات الرسل	١٨٠
١٨٥	□ الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق	١٨٥
١٨٧	□ الفرق بين المعجزة والكرامة	١٨٧
١٨٧	□ معجزة خاتم الأنبياء	١٨٧
١٩٣	الروح	١٩٣
١٩٥	□ الإنسان جسد وروح	١٩٥
١٩٦	□ العلم الحديث والمباحث الروحية	١٩٦
٢٠٣	□ حدوث الروح	٢٠٣
٢٠٤	□ الروح والنفس	٢٠٤
٢٠٥	□ الروح بعد مفارقتها للجسد	٢٠٥
٢٠٦	□ السؤال في القبر	٢٠٦
٢٠٨	□ مستقر الأرواح	٢٠٨
٢١١	إشراط الساعة	٢١١

الصفحة	الموضوع
٢٥٢	□ رحمة المؤمن فى الحساب
٢٥٢	□ الحوض
٢٥٣	□ الصراط
٢٥٥	□ الجنة والنار
٢٥٧	□ النار
٢٥٨	□ أهوال الجحيم
٢٦١	□ نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة
٢٦١	□ أهون الناس عذاباً
٢٦١	□ المؤمن لا يخلد فى النار
٢٦٢	□ الشفاعة للعصاة
٢٦٢	□ التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار
٢٦٤	□ آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار
٢٦٥	□ الجنة
٢٦٦	□ أهلها
٢٦٦	□ نعيمها
٢٦٨	□ أعلى نعيم الجنة
٢٧١	□ الخلود
٢٧٣	□ خاتمة

- العلامات الصغرى ٢١٣
- العلامات الكبرى ٢١٥
- المهدي ٢١٧
- خروج المسيح الدجال ٢١٩
- اليوم الآخر** ٢٢٥
- الإيمان باليوم الآخر ٢٢٧
- لم يخلق الإنسان عبثاً ٢٢٧
- مفهوم اليوم الآخر ٢٢٨
- اهتمام القرآن به ٢٢٨
- حكمة الاهتمام به ٢٣١
- بداية اليوم الآخر ٢٣٢
- العلم الطبيعي واليوم الآخر ٢٣٢
- متى هو؟ ٢٣٣
- البعث ٢٣٥
- أدلة البعث ٢٣٥
- شبهة منكرى البعث ٢٣٧
- اختلاف الناس عند البعث ٢٣٨
- الشفاعة ٢٣٩
- الحساب** ٢٤٣
- الحساب هو مقتضى العدل الإلهي ٢٤٥
- كيفية الحساب؟ ٢٤٧
- كيفية إحصاء الأعمال وعرضها ٢٤٩
- العلم وتسجيل الأعمال ٢٥٠
- دقة الحساب ٢٥١
- الله هو الذى يتولى الحساب ٢٥١

كتب تصدر عن الدار مؤلفات الشيخ السيد سابق

٣ مجلد	فقه السنة
مجلد	إسلامنا
مجلد	دعوة الإسلام
مجلد	عناصر القوة في الإسلام
غلاف	الصلاة
غلاف	الصيام
غلاف	مناسك الحج والعمرة
غلاف	خصائص الشريعة الإسلامية
غلاف	مصادر الشريعة الإسلامية
غلاف	مقالات وآراء إسلامية
الشيخ محمد الغزالي	قذائف الحق
ترجمة خليل سعادة	انجيل برنابه
د. السيد الجميلي	الشفاء في الحبة السوداء
الذهبي	الكبائر
المرحوم محمد الحضري	نور اليقين
موريس بوكاي	القرآن والتوراة والانجيل والعلم
سعيد أيوب	المسيح الدجال
أبو بكر الجزائري	المرأة المسلمة